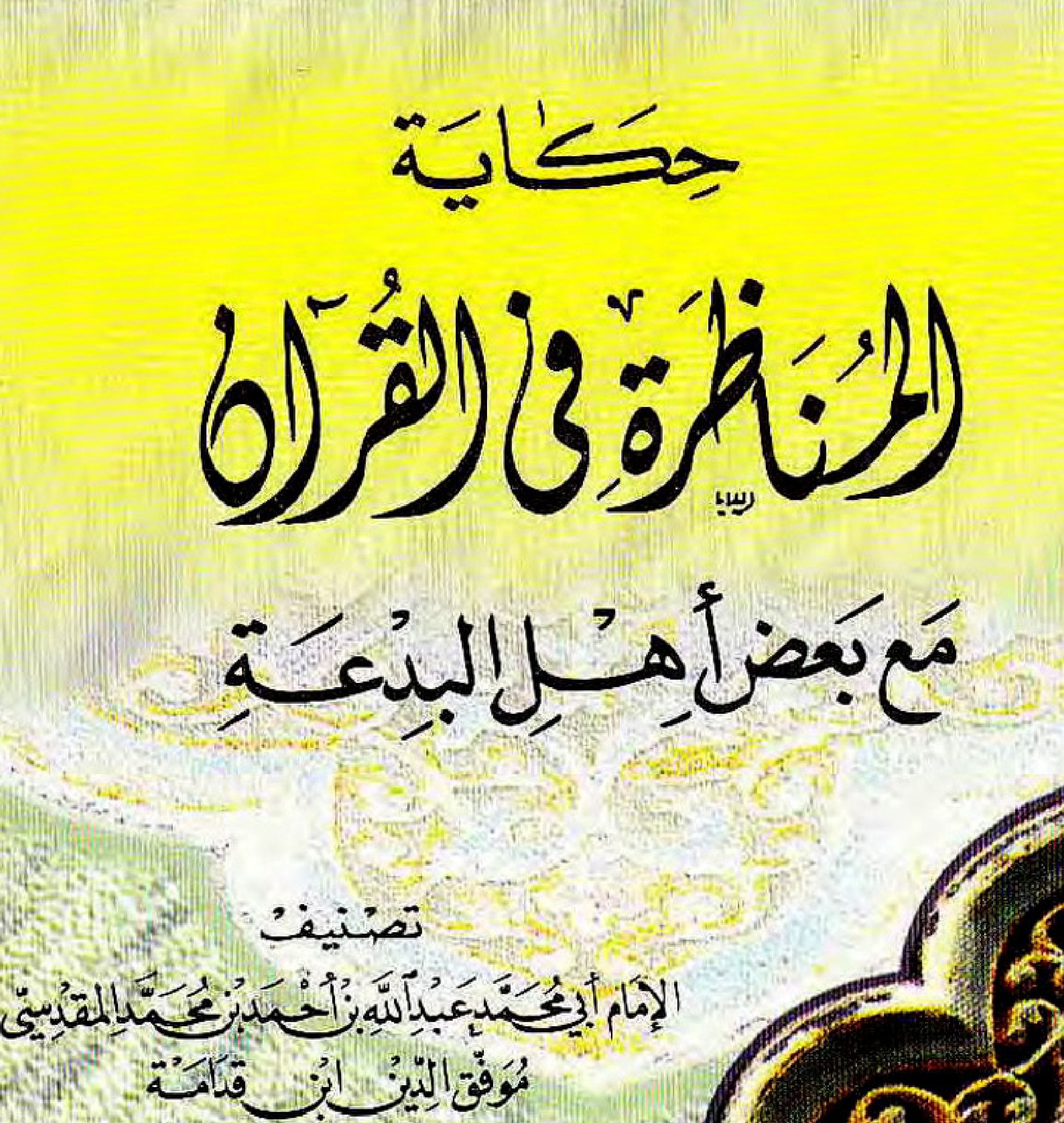


حكاية المناظرة في القرآن

مع بعض أهل البدعة

تصنيف

الإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي

موفق الدين ابن قدامة

(٥٤١-٦٢٠هـ)

تحقيق

عبد الله بن يوسف الجديع

مكتبة الرشد

الرياض

شركة الرياض

للنشر والتوزيع

حكاية

المناظرة في القرآن

مع بعض أهل البدعة


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الحجاز

ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٨٣٧١٢

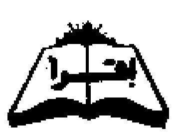
تلكس ٤٠٥٧٩٨ فاكس ملي ٤٥٧٣٣٨١



فرع القصيم بريده حي الصفراء - طريق المدينة

ص ب ٢٣٧٦ هاتف ٣٢٤٢٢١٤ - فاكس ملي ٣٢٤١٣٥٨

فرع المدينة المنورة - شارع أبي ذر الغفاري - هاتف ٠٥/٥٤٧٢٦٦٤



شركة الرياض للنشر والتوزيع

ص.ب: ٣٣٦٢٠ - الرياض: ١١٤٥٨ - هاتف: ٤٥٩٤٧٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيراً.

أمّا بعد...

فإنّ مسألة «القرآن» أعظم ما وقع فيه النزاع بين أهل السنة وأهل البدعة، منذ أن ظهرت بدعة الجهمية في أواخر عهد التابعين وإلى يومنا هذا، وحين أخمد الله تعالى فتنة الجهمية المعتزلة في هذه القضية ظهر بعضُ ذيول التجهّم ببدعة اللفظ، وهي قولهم: «ألفاظنا بالقرآن مخلوقة» والتي مقتضاها أنَّ هذا القرآن العربي المعجز المبين الذي نزل به جبريل الأمين على قلب نبيّنا ﷺ مخلوق بحروفه ومعانيه حتى جاء رأس الطائفة الكلاّبية «عبدالله بن سعيد بن كلاّب» فتظاهر بالإنتساب للسنة، لكنه سلك هذا المنهج الجهميّ الجديد، ونصره، ودعا إليه، بل وزاد فيه: أنّ كلامَ الله قديم، وهو معنى قائم بنفسه تعالى، ليس بحرف ولا صوت، وهذا القرآن العربي بألفاظه حكاية عن كلام الله، واعتنق اعتقاده هذا طائفة، حتى جاء الأشعري، وكان قد عمَّر دهراً في الاعتزال، ثمَّ زعم الرجوع عنه، فنهض ببدعة ابن كلاّب ونصرها، إلاّ أنّه خالفه في كون هذا القرآن العربيّ حكاية عن كلام الله، وقال: إنما هو عبارة عن كلام الله، فجاء أتباعه من بعده فزادوا على مقالَتِه بما تقتضيه مقالَتُه، حتى وصَل الحال ببعض رؤوسهم وكبار محقّقيهم إلى أن قال: إنّ هذا القرآن العربي إنمّا هو قول جبريل، وقال آخرون: هو مخلوق، خلقه الله في اللوح المحفوظ أو في غيره، وهذا اعتقاد عامّة الأشعرية، بل إنّهم ينكرون على من قال بسِواه، بل ربما ضلّلوه.

وإنّي تارك لك الإمام موفّق الدين أبا محمد بن قدامة يشرح لك في هذه الحكاية

لمناظرة جرت بينه وبين أشعري في هذه القضية الاعتقادية الخطيرة، ما وصل إليه حال هؤلاء القوم من موافقة الجَهمية، ومجانبة السنّة، ويكشف لك بعض خباياهم.

والإمام الموفق قد اشتهر بقوة حجته في المناظرة، وشدّته في السنة، وغلظته على البدع وأهلها ــ وخاصّة الأشعرية ــ لذلك تراه قد شدّد القول في الأشعري رأس الطائفة.

فالله تعالى أسأل أن يبصّرك بالحق ويهديك سواء السبيل، ويقيك البدع وأهلها، فتأمل الكتابَ بقصد الانتفاع، وبعين البصير اليقظ.

وإني أرجو أن يثقل الله تعالى بنشره ميزاني، إنه وليي وهو حسبي ونعم الوكيل.

وكتب

أبو محمد عبدالله بن يوسف الجديع

٢٨/شعبان/١٤٠٧هـ.

الموافق ٢٦/ابريل/١٩٨٧م

التعريف بالمؤلف(*)

● **اسمه ونسبه:**

هو أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجمّاعيلي، ثم الدمشقي الصالحي.

● **مولده:**

وُلِدَ بـ «جمّاعيل» سنة (٥٤١).

● **شيوخه:**

كان رحمه الله من بيت علم، تربّى فيه على العلم والدين، فأقبل على الطلب مُبَكِّراً، وكان قد انتقل من «جمّاعيل» في فلسطين، إلى «دمشق» صغيراً مع أهل بيته، فأقام بها.

وكان كثير الشيوخ، رحَل إلى بغداد مع ابن خاله الحافظ عبد الغني في أول العشرين من عمره، فأدرك بها الشيخ عبد القادر الجيلاني، فتلقى عنه، وكذا تلقى عن غيره من الشيوخ، وسمع بدمشق والموصل ومكة، وغيرها من البلاد.

فمن مشاهير شيوخه:

(*) من أهم مصادر ترجمته:

١ ــ التكملة لوفيات النقلة: للمنذري ١٠٧/٣.

٢ ــ التقييد، لابن نقطة ٧٨/٢.

٣ ــ معجم البلدان، لياقوت ١٦٠/٢.

٤ ــ المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ١٣٤/٢ ــ ١٣٧.

٥ ــ سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٦٥/٢٢ ــ ١٧٢.

٦ ــ البداية والنهاية، لابن كثير ٩٩/١٣ ــ ١٠١.

٧ ــ ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب ١٣٣/٢ ــ ١٤٩.

٨ ــ فوات الوفيات، لابن شاكر ١٥٨/٢ ــ ١٥٩.

١ ــ شيخ الإسلام الإمام القدوة محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن عبدالله الجيلي الحنبلي (٤٧١ ــ ٥٦١)[١].

٢ ــ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال العجلي، المعروف بـ «ابن الدقاق» (٤٧١ ــ ٥٦٢)[٢]. وكان شيخاً صالحاً لا بأس به.

قال ابن قدامة: «هو فيما أظن أقدم مشايخنا سماعاً».

٣ ــ أبو بكر أحمد بن المقرّب بن الحسين البغدادي (٠٠٠ ــ ٥٦٣)[٣].

وكان ثقة صالحاً، صحيح السماع.

٤ ــ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن محمد الطوسي المعروف بـ «ابن تاج القراء» (٠٠٠ ــ ٥٦٣)[٤]. وكان شيخاً زاهداً.

٥ ــ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي البغدادي، المعروف بـ «ابن البَطّي» (٤٧٧ ــ ٥٦٤)[٥]. وكان ثقةً صحيحَ السماع.

٦ ــ أبو بكر عبدالله بن محمد بن أحمد بن النقور البغداديّ (٤٨٣ ــ ٥٦٥)[٦].

وكان ثقة متثبتاً.

٧ ــ فخر النساء شُهدة بنت أحمد بن الفرج (بعد ٤٨٠ ــ ٥٧٤)[٧].

وكانت محدّثة خيّرة، انتهى إليها إسناد بغداد.

● **مِن ثناء الأئمة عليه**

قال ابن النجار: «كان إمام الحنابلة بجامع دمشق، وكان ثقة حجّةً نبيلاً، غزيرَ

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٢٠/٤٣٩.

(٢) انظر ترجمته في «السير» ٢٠/٤٧١.

(٣) انظر ترجمته في «السير» ٢٠/٤٧٣.

(٤) انظر ترجمته في «السير» ٢٠/٤٧٨.

(٥) انظر ترجمته في «السير» ٢٠/٤٨١.

(٦) انظر ترجمته في «السير» ٢٠/٤٩٨.

(٧) انظر ترجمتها في «السير» ٢٠/٥٤٢.

الفضل، نَزِهاً، وَرِعاً، عابداً، على قانون السلف، عليه النور، والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أنْ يسمعَ كلامَه».

وقال عمر بن الحاجب الحافظ: «هو إمام الأئمة، ومفتي الأمّة: خصّه الله بالفضل الوافر، والخاطر الماطر، والعلم الكامل، طنَّت بذكره الأمصار، وضنّت بمثله الأعصار قد أخذَ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية، فأمّا الحديث فهو سابق فرسانه، وأمّا الفقه فهو فارس ميدانه، أعرف الناس بالفتيا، وله المؤلفات الغزيرة، وما أظنّ الزمان يسمح بمثله، متواضع عند الخاصة والعامة، حسن الاعتقاد، ذو أناة وحلم ووقار، وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والمحدّثين وأهل الخير، وصار في آخر عمره يقصده كلُّ أحد، وكان كثير العبادة، دائمَ التهجد، لم يُرَ مثله ولم يَرَ مثل نفسه».

وقال ابن نقطة: «كان إماماً ثقة، فاضلاً، صالحاً».

وقال الحافظ الضياء[8]: «كان ــ رحمه الله ــ إماماً في التفسير، وفي الحديث ومشكلاته، إماماً في الفقه، بل أوحد زمانه فيه، إماماً في علم الخلاف، أوحد في الفرائض، إماماً في أصول الفقه، إماماً في النحو، والحساب والأنجم السيّارة، والمنازل».

قلت: وإلى جانب ذلك فقد كان سلفيَّ المعتقَد، على طريقة الإمام أحمد في الأصول، كما أنه على طريقته في الفروع، وكان قويَ الحجّة في المناظرة، وقد أقرَّ بفضله الموافق والمخالف.

● **تلامذته:**

تخرّج بالموفّق خلق كثير من الفقهاء والحفّاظ والشيوخ، من أشهرهم:

١ ــ الفقيه المحدّث بهاء الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي الحنبلي (٥٥٥ ــ ٦٢٤).

وهو شارح كتابَي: «المقنع» و«العمدة» من تصانيف الموفّق.

٢ ــ الحافظ الكبير أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الجمّاعيلي المقدسي المعروف بـ «الضياء». (٥٦٩ ــ ٦٤٣).

---

(٨) ذكر غير واحد أنّه أفرد سيرة الموفق في جزأين.

٣ ــ الحافظ الفقيه شيخ الإسلام تقيّ الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح الشهرزوريّ الشافعيّ (٥٧٧ ــ ٦٤٣) صاحب «علوم الحديث».

٤ ــ الحافظ المكثر الإمام أبو الحجّاج يوسف بن خليل شمس الدين الدمشقي الأَدَمي (٥٥٥ ــ ٦٤٨).

٥ ــ الحافظ العَلَم صاحب التصانيف زكيّ الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشافعيّ (٥٨١ ــ ٦٥٦).

وآخرون.

● **تصانيفه:**

كان ــ رحمه الله ــ كثير التصانيف جداً في أنواع العلم، وخاصّة في فقه الإمام أحمد وأصوله، فقد كان حامل رايته، وله في أبواب من الاعتقاد السلفيّ مصنفات جليلة، جرى فيها على منهج السلف، وله كذلك في أبواب من الرقائق، والسير، وغير ذلك، فمن تصانيفه:

١ ــ المغني.

في فقه الإمام أحمد، وهل أجلّ المصنفات في ذلك في القديم والحديث، وقد طبع مرات.

٢ ــ الكافي.

في الفقه أيضاً، اعتنى فيه بفروع المذهب مهذّباً لها، مع الاستدلال بأبين عبارة. وهو مطبوع.

وللحافظ الضياء تخريج لأحاديثه، منه أجزاء في الظاهرية بدمشق، لم تطبع.

٣ ــ المقنع.

مختصر في الفقه على مذهب أحمد أيضاً، وهو مطبوع.

٤ ــ العمدة.

مختصر كالذي قبله، وهو مطبوع.

٥ ــ روضة الناظر.

في أصول الفقه على مذهب أحمد، وهو مطبوع.

وللعلاّمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المدني عليه تعليقات نفيسة، وهي مطبوعة أيضاً.

وفي هذه المصنفات قال الشيخ يحيى الصرصري:

وفي عصرنا كانَ الموفّق حجّـةً ... على فقهه بثبت الأصول محولـي
كفى الخلقَ بـ «الكافي» وأقنع طالباً ... بـ «مقنع» فقه عن كتابٍ مطـوّلِ
وأغنى بـ «مغني» الفقه من كان باحثاً ... و«عمدتـه» مـن يعتمدهـا يـحصّلِ
و«روضته» ذات الأصول كـروضة ... أماست بها الأزهار أنفاس شمألِ
تدلُّ على المنطـوق أوفـى دلالـة ... وتحمل في المفهوم أحسن مَحْمَلِ

٦ ـــ مسألة العلو.

في الاعتقاد، وتضمّن إثبات علوالله تعالى على خلقه، على طريقة أهل الحديث، وهي مطبوعة.

٧ ـــ كتاب القدر.

جزآن، ولم نقف عليه.

٨ ـــ التبيين في نسب القرشيين، مطبوع.

٩ ـــ الاستبصار في نسب الأنصار، مطبوع.

١٠ـــ كتاب التوّابين، مطبوع.

١١ ـــ كتاب الرّقة والبكَاء، لا زالَ مخطوطاً، منه نسخة محفوظة في الظاهرية.

١٢ـــ المناظرة في مسألة القرآن مع بعض الأشعرية، وهي التي بين يديك، وسيأتي الحديث عنها قريباً.

وغير ذلك من تصانيفه الجليلة النافعة.

● **وفاته:**

بعد حياة العلم والعمل التي عاشها الشيخ الموفّق يفارق الدنيا سنة (٦٢٠).

فرحمه الله، وجمعنا وإيّاه في دار كرامته.

★★★

هــذا الكتــاب

هذا الكتاب من جملة تصانيف الإمام الموفّق في باب الاعتقاد، ونصرة العقيدة السلفية.

● **مضمونه وسبب تصنيفه:**

أصل هذا الكتاب مناظرة جَرت بين الإمام أبي محمّد وبعض الأشعرية في القرآن العظيم وكلام ربّ العالمين فرأى الشيخ بسبب كثرة سؤال بعض أصحابه عنها أن يكتب ما جرى له في تلك المناظرة مع ذلك الأشعري، لكن على سبيل الحكاية لها لا على سبيل سياقها على صورة المناظرة، خوفاً من الزيادة والنقصان فيها.

والمعهود عن الشيخ رحمه الله قوّته في المناظرة وإقامة الحجج على الخصوم، وعرف بشدّته على أهل البدع ــ خاصّة الأشعرية ــ لعموم البلوى باعتقادهم.

● **إثبات نسبته إلى المؤلف:**

أمّا عن ثبوت نسبة هذا الكتاب إلى أبي محمد بن قدامة، فذلك مِمّا نقطع به لأمور، منها:

١ ــ ما أثبت على الوجه الأوّل منه، وفي ابتدائه ــ كما ستراه ــ من نسبته إلى الشيخ الموفّق.

٢ ــ الإجازات المثبتة في أوائل الأصل، ومنها إجازة لابن البخاري الحافظ المقدسي يرويه بها عنه جماعة.

٣ ــ إجازة بخط العلامة المحدث المشهور يوسف بن عبد الهادي.

٤ ــ موافقة سياق استدلال الشيخ الموفق في هذه المناظرة لاستدلاله في كتابه «الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم»[٩] في غالب ما ذكر.

---

(٩) وهو كتاب قيّم، وقعت لي بتيسير الله نسخة جيدة منه من محفوظات الظاهرية، إلا أنّ بها خرماً حالَ بيني وبين تحقيقها، مع أنّي عزمت على ذلك: فلعلّ الله أن ييسر لي نسخة أخرى.

● **تحقيقه:**

ــ اعتمدتُ في تحقيق الكتاب على أصل خطّي محفوظ في «دار الكتب الظاهرية» تحت رقم (مجموع ١١٦) وهي نسخة جيدة، بخطّ واضح جميل، لكنها لم تخلُ من سهو ناسخ.

ــ وقمت بما يلي:

١ ــ زدت في تسمية الكتاب لفظ «حكاية» وكان حرياً بالناسخ ذكره، لأن المصنف رحمه الله لم يسق المناظرة على صورتها؛ وإنّما ساقها على صورة الحكاية، وسميته على سبيل الاختصار «حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة».

٢ ــ ضبط نصّ الكتاب.

٣ ــ التعليق والشرح لما يحتاج إليه في بعض المواضع.

٤ ــ تخريج وتحقيق نصوصه الحديثية وآثاره السلفية.

٥ ــ ما أضعه بين معكوفين هكذا [ ] فهو من إضافتي، وإنما احتجتُ له في عزو آية، أو تصحيح خطأ، وما وقع من الأخطاء التي صححتها في الكتاب فإني أنبه عليه في الحاشية، إلاّ أن يكون يسيراً.

٦ ــ فصلت بين الأصل وتعليقاتي عليه، بوضع الأصل في أعلى الصفحة والتعاليق أسفلها.

والله تعالى أسأل القبول، إنّه نعم مسؤول، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وإليك النص المحقّق.

كـــتاب

مناظرة الشيخ الإمام العالم الأوحد العامل الفقيه
الوَرِع مُوفَّق الدين شيخ الإسلام ناصر السنّة مفتي
الفِرَق قامع البدعة سيّد العلماء معين أهل الحَقّ
أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدِسيّ
رضي الله عنه وأرضاه
جَرَت بينَه وبينَ بعض أهْلِ البِدْعة
في القرآن العظيم وكلام الله القَديم

رواية الفقير إلى الله تعالى محمد بن الحسن بن سالم بن سلاّم
إجازة عنه
تقبلَّ الله منه وأحسن مجازاته

حكاية
المناظرة في القرآن
مع بعض أهل البدعة

حكاية

المناظرة في القرآن

مع بعض أهل البدعة

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ الشيخُ الإمامُ العالِمُ العامل الفقيهُ مُوَفَّقُ الدّينِ، شيخُ الإسلامِ، مُفتي الأنام، سَيِّدُ العُلَماءِ، أبو محمد عبدُالله بن أحمد بن محمّد بن قُدامَة المقدسي، رضي الله عنه وأرضاه:

الحمدلله ربّ العالَمين، وصلّى الله على محمّدٍ النبيّ وآله أجمعين.

أمّا بعد..

فإنه تكرَّر سؤالُ بعضِ أصحابنا عن حكايةِ مُناظَرةٍ جَرَت بيني وبين بعضِ أهلِ البدعةِ في القرآن، فخِفْتُ من الزيادة والنّقصان، فرأيتُ أنْ أذكرَ ذلك على غير سبيل الحكاية[*]، كي لا تكون الزيادة في الحجج والأجوبةِ عن شُبَهِهم كَذِباً، مع تضمُّن ذلك لأكثر ما جَرى إنْ شاءَ الله سبحانه، والله الموفِّقُ والمعين، وهو حَسْبنا ونِعْمَ الوكيل.

فنقول:

موضع الخلاف: أنّنا نعتقِد أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وهو هذه المائة والأربع عشرة سورة، أوّلُها الفاتحة، وآخرُها المعوّذات، وأنه سُوَرٌ وآياتٌ وحروفٌ وكلماتٌ، مَتلوٌّ، مَسموعٌ، مكتوبٌ.

وعندهم: أنَّ هذه السّوَرَ والآياتِ ليستْ بقرآن، وإنّما هي عِبارة عنه وحكايةٌ[1]،

(*) يعني على غير حكايتها بألفاظها.

(۱) الأشعرية يطلقون تسمية (القرآن) في الغالب على اللفظ العربي، و(كلام الله) على ما يسمّونه: المعنى القائم بالنفس، وهذا عندهم على الحقيقة، أمّا على المجاز فإنهّم يسمّون اللفظ العربي، والمعنى القائم بالنفس: كلام الله، والقرآن.
والقول بأنَّ هذا القرآن العربي حكاية عن المعنى القائم بالنفس هو قول عبدالله بن سعيد بن كلاّب ــ رأس الكلاّبية ــ فلما جاء أبو الحسن الأشعري وأخذ مقالاته خالفه في هذا، ولم يرَ صحة إطلاق لفظ الحكاية من جهة المعنى، فقال: هو عبارة عن المعنى القديم.

وأنّها مخلوقة، وأنّ القرآنَ معنى في نفس الباري، وهو شيءٌ واحدٌ، لا يتجزّأ، ولا يتبعَّض، ولا يتعدّد، ولا هو شيءٌ يَنزِل، ولا يُتلى، ولا يُسْمَع، ولا يُكتَب، وأنّه ليس في المصاحف إلاّ الوَرَق والمِداد.

واختلفوا في هذه السور التي هي القرآن: فزَعَم بعضُهم أنّها عبارة جبريل عليه السلام، هو الذي ألّفها بإلهام الله تعالى له ذلك(٢).

وزعمَ آخرون منهم أنَّ الله تعالى خَلَقها في اللّوْح المحفوظ، فأخَذها جبريلُ منه(٣).

واحتجّوا على كون هذه السور مَخلوقة بأنّها تتعدَّد، ولا يتعدَّد إلاّ المخلوق.

وهذا يَبْطُلُ بصفاتِ الله تعالى، فإنها صفات مُتعدِّدة، منها: السمعُ، والبصرُ، والعلمُ والإرادةُ، والقدرةُ، والحياةُ، والكلامُ، ولا خِلافَ في أنّها قديمة.

وكذلك أسماء الله تعالى: فإنّها متعدِّدة.

قال الله تعالى: ﴿ولله الأسْماءُ الحُسْنى فَادْعوهُ بها وَذَروا الّذينَ يُلْحِدونَ في أَسْمائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ لله تعالى تِسْعَةً وتِسْعينَ اسْماً، مائةً إلاّ واحداً، مَنْ أَحْصاها

---

(٢) القائلون بأنَّ القرآن العربي قول جبريل طائفتان

الأولى: طائفة من الفلاسفة والملاحدة، يقولون: إنه فيض فاضَ على نفس النبي ﷺ من العقل الفعال، وهو جبريل، وجبريل عندهم خيال يتمثل في نفس النبي ﷺ.

والثانية: بعض المنتسبين إلى الأشعري، وقد صرح به بعض كبار أصحابه، كأبي بكر الباقلاني وغيره، وليس هو قول الأشعري نفسه، بل قال شيخ الإسلام: «ومن حكى هذا عن الاشعري نفسه فهو مجازف».

انظر: الإنصاف للباقلاني ص: ٩٧ وحاشية الباجوري على الجوهرة ص: ٩٥ ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٢/٥٥٦ ــ ٥٥٨ وكتابنا: العقيدة السلفية في كلام رب البرية في صدد الحديث عن القرآن العربي عند الأشعرية

(٣) انظر: كفاية العوام ص: ١٠٤ ــ ١٠٥ وشرح الجوهرة ص:٧٣ وفيهما التصريح بهذه الحقيقة.

دخلَ الجنَّةَ»[٤].

فثبتَ تَعدادُها بالكِتاب والسنّةِ والإجماع، وهي قديمة.

وقد نصَّ الشافعيُّ رحمه الله على أنَّ أسماءَ الله تعالى غير مخلوقة[٥].

وقالَ أحمد رحمه الله: «مَن زعمَ أنَّ أسماءَ الله تعالى مخلوقة فقد كَفر»[٦].

وكذلكَ كلمات الله تعالى متعدّدة: قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كانَ البَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: ١٠٩]. وهي قديمة.

وكذلكَ كتبُ الله تعالى: فإنَّ[٧] التوراةَ والإنجيلَ والزبورَ والقرآنَ متعدِّدة، وهي غير مخلوقة، وإنْ قالوا: هي مخلوقة، فقد قالوا بخلق القرآن، وهو قول المعتزلة، وقد اتَّفقنا على ضلالهم، واتفقَ المنتَمون إلى السنة على أنَّ القائلَ بخلق القرآن كافر، منهم

---

(٤) حديث صحيح جليل.
وقد تناولته بالتخريج والشرح في جزء مفرد.

(٥) روى الربيع بن سليمان قال: سمعتُ الشافعي يقول: «منَ حَلَفَ باسم من أسماء الله، فحنث، فعليه الكفّارة، لأنَّ اسمَ الله غير مخلوق، ومنَ حَلَفَ بالكعبة، أو بالصَّفا والمرْوة، فليس عليه الكفارة، لأنّه مخلوق، وذاك غير مخلوق».
أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ص: ١٩٣ وأبو نعيم في «الحلية» ٩/١١٣ وابن الطبري في «السنة» ٢/٢١١ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص: ٢٥٥ ــ ٢٥٦ و«مناقب الشافعي» ١/٤٠٣، ٤٠٥ وإسناده صحيح.

(٦) روى إبراهيم بن هانيء، قال: سمعتُ أحمد بن حنبل ــ وهو مختفي عندي ــ فسألته عن القرآن؟ فقال: «منْ زعم أنَّ أسماءَ الله مخلوقة فهو كافر».
أخرجه ابن الطبري في «السنة» ٢ــ٢١٤ وسنده صحيح.
قلت: الأشعرية يعتقدون أن أسماء الله الحسنى التي هي الألفاظ مخلوقة، قالوا: وهذه تسميات وهي التي يرد عليها التعدد، أمّا اسم الله فهو واحد وهو ذاته تعالى، وقد شرحت ذلك وفصّلت ضلالهم فيه في كتابي «العقيدة السلفية في كلام ربّ البرية» فارجع إليه.

(٧) في الأصل: وإن وما أثبته أنسب للسياق.

مَن قالَ: كفر ينقل عن المِلّة، ومنهم مَن قالَ: لا ينقله عنها[٨].

فمتى قالوا بخَلْقِ القرآنِ وغيرِه من كتب الله تعالى، فقد قالوا بقولٍ أقرّوا بكفر قائله. وإن أقرّوا بها غير مخلوقة، وهي متعدّدة، فقَدْ بَطَل قولُهم.

وإنْ قالوا: هي شيءٌ واحدٌ غير متعدِّدة، فقد كابَروا.

ويجب على هذا أنْ تكونَ التوراةُ هي القرآن والإنجيلُ والزَّبور، وأنَّ موسى لَمّا أُنْزِلتْ عليه التوراة، فقد أُنزِل عليه كلُّ كتابٍ لله تعالى، وأنَّ نبيَّنا عليه السلام لَمّا أُنزلَ عليه القرآنُ، فقد أنزلتْ عليه التوراةُ والإنجيلُ والزّبورُ، وأنَّ مَن قرأ آية من القرآن فقدْ قرأ كلَّ كتابٍ لله تعالى، وَمَنْ حَفِظَ شيئاً منه فقدْ حَفِظه كُلَّه.

ويجب على هذا أن لاتعَبَ أحدٌ في حفظ القرآن، لأنّه يحصلُ له حفظُ كل كتابٍ لله تعالى بحفظِ آيةٍ منهُ.

ويجبُ أنْ يكون النبيُّ ﷺ لَمّا أُنزِلَ عليه آيةٌ من القرآن، قدْ أُنزلَ عليهِ جَميعه وجميعُ التوراة والإنجيل والزّبور.

وهذا خِزْيٌ على قائله، ومكابَرة لنفسِه.

ويجبُ على هٰذا أن يكونَ الأمرُ هو النهي، والإثبات هو النفي، وقصّة نوح هي قِصّة هود ولوط، وأحدُ الضدّين هو الآخر.

وهذا قولُ من لا يَستحيي، ويَشْبَه قولَ السوفسطائية.

وقد بلغني عن واحدٍ منهم أنّه قيل له: سورة البقرة هي سورة آل عمران؟ قال: نعم.

وإن قالوا: إنَّ كلامَ الله عزَّ وجلَّ هو هٰذه الكتب، وإنَّ التوراة والإنجيل والزبورَ والقرآن كلامُ الله عزَّ وجلَّ القَديم، لكنْ لم يَنْزِل منه شيءٌ على الأنبياء، ولا هو شيءٌ يحفظُ، ولا يُتْلى، ولا يُسْمَعُ، وإنمّا أُنزِلَ عبارَتُه، كذَّبهم[٩] القرآن والسنة وإجماع الأمّة، فإنه لا خلافَ بين المسلمين كُلّهم أنَّ القرآنَ أُنزِلَ على محمدٍ ﷺ، وأنَّ التوراةَ أُنزلتْ على موسى، والإنجيلَ على عيسى، والزبور على داود.

والله عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿الَر تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ ● إنّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبيّاً لَعَلَّكُمْ

---

(٨) انظر تفصيل ذلك في كتابي «العقيدة السلفية».

(٩) هذا جواب قوله: وإن قالوا: إنَّ كلامَ الله...

تَعْقِلونَ﴾ [يوسف: ١ــ٢].

وقالَ سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الذي أُنْزِلَ فيهِ القُرآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقالَ تعالى: ﴿وإنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمينَ● نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأمينُ● على قَلْبِكَ لِتَكونَ مِنَ المنذِرينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ــ ١٩٤].

وقالَ سبحانه: ﴿وَقالَ الذينَ كَفَروا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً واحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢].

﴿وَقالوا لَوْلا نُزِّلَ هذا القُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

وقالَ سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقالَ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ المَثاني وَالقُرْآنَ العَظيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

وقالَ تعالى: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ﴾ [ص: ٢٩].

وقالَ: ﴿وَهذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢، ١٥٥][١٠].

ومِثْلُ هذا كثير.

وقد أكفَرَ الله تعالى اليهودَ بقولِهِم: ﴿ما أَنْزَلَ اللهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ ثُمَّ قالَ: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ الذي جاءَ بِهِ موسى نوراً وَهُدًى لِلنّاسِ﴾ ثُمَّ قالَ: ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ في خَوْضِهِمْ يَلْعَبونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ الذي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتابَ مُفَصَّلاً وَالّذينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْلَمونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقالَ سبحانه: ﴿هُوَ الذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ﴾ الآية [آل عمران: ٧][١١].

ومثل هذا كثير.

وقالَ النبي عليه السلام: «أُنزِلَ القُرآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[١٢].

---

(١٠) سيقت هذه الآية خطأً في الأصل، هكذا: هذا كتاب أنزلناه إليك مبارك.

(١١) في الأصل: وهو الذي... وهو خطأ.

(١٢) حديث صحيح متواتر.

وقفت عليه من حديث خمسة عشر من الصحابة، وهو مروي أيضاً مرسلاً عن بعض التابعين. وأفردت تحقيقه وطرقه وشرحه في جزء.

والسنة مملوءة منه.

فإنْ قالوا: فكِتابُ الله غير القرآن.

قلنا: خالفتم ربَّ العالمين، وخرقتم إجماعَ المسلمين، وجئتم بِما لَمْ يأتِ بِهِ أحدٌ من الملحِدين، فإنَّه لا خلافَ بين المسلمين أنَّ كتابَ الله هو القرآن العظيم، المُنْزَلُ على سيِّد المرسَلين: بلسان عربيّ مُبين.

والله تعالى قدْ أخبرَ بذلك، فقالَ سبحانه: ﴿الَر تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ ● إنّا أنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِياً﴾ [يوسف: ١ــ٢].

وقالَ: ﴿حمَ ● وَالكِتابِ المُبينِ ● إنّا جَعَلْناهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ﴾ [الزخرف: ١ــ٣].

وقالَ سبحانه: ﴿حمَ ● تَنْزيلٌ مِن الرَّحْمنِ الرَّحيمِ ● كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمونَ﴾ [فصّلت: ١ــ٣].

وقالَ سبحانه: ﴿وَإذْ صَرَفْنا إلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجنّ يَسْتَمِعونَ القُرْآنَ فَلَمّا حَضَروهُ قالوا أنصِتوا فَلَمّا قُضِيَ وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرينَ ● قالوا يا قَوْمَنا إنّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ موسى﴾ [الأحقاف: ٢٩ ــ ٣٠].

فسمَّوه: قرآناً، وكتاباً.

وقال في موضع آخر: ﴿فقالوا إنّا سَمِعْنا قُرآناً عَجَباً ● يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فَآمَنّا به﴾ [الجن: ١ــ٢].

ولا يخفى هذا إلاّ على من أعمى الله قلبَه، وأضلَّه عن سَبيله ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾ [الرعد: ٣٣، الزمر: ٢٣، ٣٦ غافر: ٣٣].

واحتجّوا أيضاً بأنَّ هذه الحروف لا تخرجُ إلاّ من مخارج وأدوات، فَلا يَجوز إضافةُ ذلكَ إلى الله سبحانه.

والجواب عن هذا مِنْ أوْجُه:

أحدها: ما الدَّليلُ على أنَّ الحروفَ لا تكون إلاّ مِن مَخارج وأدَوات؟

فإنْ قالوا: لأنّنا لا نَقْدِر على النطق بِها إلاّ مِن مخارج وأدوات، فكذلك الله ربّ العالَمين.

قُلْنا: هذا قِياسٌ لله تعالى على خلقه، وتشبيهٌ له بعبادِه، وإلحاقٌ لصفاتِهم بصفاته، وهذا مِنْ أقبح الكفر.

وقدْ اتّفقنا على أنَّ الله تعالى لا يُشَبَّهُ بخَلقِه، وأنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الثاني: أنَّ هذا باطلٌ بسائر صفاتِ الله تعالى، فإنَّ العلمَ لا يكونُ في حَقِنا إلاّ بقَلْب، والسمعَ لا يكون إلاّ من انخراق، والبصرَ لا يكونُ إلاّ من حَدقةٍ، والله تعالى عالِمٌ، سميعٌ، بصيرٌ، ولا يوصَف بذلك.

فإنْ نفيتم الكلامَ لافتقاره في زعمكم إلى المخارج والأدوات، فيلزمكم نفي سائر الصفات، وإنْ أثبتّم له الصفات، ونفيتم عنه الأدوات، لَزِمَكم مثلُ ذلك في الكلام، وإلاّ فما الفرق بينهما؟

الثالث: إنَّ الله تعالى أنطَقَ بعضَ مخلوقاته بغير مَخارج.

فإنّه قال تعالى: ﴿وَتُكَلِّمُنا أيْديهِمْ وَتَشْهَدُ أرْجُلُهُمْ﴾ [يس: ٦٥].

وقالَ تعالى: ﴿حَتّى إذا ما جاءوها شهدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يَعملونَ، وقالوا لجُلودِهِمْ لِمَ شهدْتُمْ علينا قالوا أنطَقَنا الله الذي أَنطقَ كلَّ شَيْء﴾ [فصّلت ٢٠ ــ ٢١].

وأخبر عن السماء والأرض أنّهما ﴿قالَتا أتَيْنا طائعينَ﴾ [فصّلت: ١١].

وأخبر النبيُّ ﷺ أنَّ حَجَراً كانَ يُسَلِّمُ عليه[١٣].

وسبَّحَ الحَصى في يَدَيْه[١٤].

---

(١٣) أخرج أحمد ٨٩/٥، ٩٥، ١٠٥ ومسلم رقم (٢٢٧٧) والترمذي رقم (٣٦٢٤) والدارمي رقم (٢٠) من طريقين عن سِماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرفُ حجراً بمكةَ، كانَ يسلّمُ عليَّ قبل أنْ أُبعثَ، إني لأعرفُه الآن».
قال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(١٤) أخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (٣٣٨) من طريق داود بن أبي هند عن رجل من أهل الشام يعني الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير الحضرمي عن أبي ذرّ الغفاري قال:

إني لشاهد عند النبي ﷺ في حَلْقة وفي يده حصيات: فسَبَّحْنَ في يده، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، يسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهنَّ النبيُّ ﷺ إلى أبي بكر فسبَّحْنَ مع أبي بكر، يسمَع تسبيحهن من في الحلقة، ثمَّ دفعهنَّ النبيُّ ﷺ إلى عمر، فسبَّحْنَ في يده، يسمَع تسبيحَهن من في الحلقة، ثمَّ دفعَهُنَّ إلى عثمان فسبَّحْنَ في يده، ثمَّ دفعهن إلينا، فلمْ يسبّحن معَ أحدٍ مِنّا.

وإسناده صحيح متصل، ورجاله ثقات.

وتابع داودَ عليه الزّبيديُّ عن الوليد بن عبد الرحمن.

أخرجه البزار رقم (٢٤١٤ ــ كشف الأستار) وإسناده صالح في المتابعات.

وتابعَ جبيراً سويدُ بن يزيد عن أبي ذرّ بالقصة مطوّلة.

أخرجه البزار رقم (٢٤١٣) والبيهقي في «الدلائل» ٦/٦٤ ــ ٦٥ وأبو القاسم التيمي في «الدلائل» ق١٧/أ ــ ب من طريق قريش بن أنس عن صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن سويدبه.

ورواه أبو نعيم رقم (٣٣٩) من طريق أخرى عن قريش مختصراً.

قال البزار: «لا نعلمه يروى إلا عن سويد عن أبي ذرّ، ورواه جبير بن نفير وزاد فيه كلاماً، ولا رواه عن سويد إلاّ الزهري، ولا عنه إلاّ صالح، وصالح ليّن الحديث، وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم».

وقال البيهقي: «وصالح لم يكن حافظاً، والمحفوظ رواية شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال: ذكرالوليد بن سويد أنَّ رجلاً من بني سليم كبيرَ السنّ كانَ مِمَّن أدرك أبا ذرّ بالرّبذة ذكر له، فذكر هذا الحديث عن أبي ذر».

قلت: صالح هذا ليّن الحديث كما قال البزار، يعتبر بحديثه، فلا بأس به في المتابعات، فيزيد الحديث قوّة، وما ذكره البيهقي إنْ صحَّ إلى شعيب فهو طريق صالح في المتابعات أيضا.

تنبيهات:

الأوّل: في رواية البيهقي زيادة مرفوعة في آخر الحديث: «هذه خلافة النبوة» وهي لا تصح، لأنّها إضافة إلى كونها من رواية صالح المُعَلة، فإن في إسنادها الكديمي ــ واسمه محمد بن يونس ــ وهو حافظ إلاّ أنّه كانَ يكذب.

والثاني: ورواه الطبراني في «الأوسط» ــ كما في «المجمع» ٥/١٧٩ ــ وفيه زيادة: «قال =

وقالَ ابنُ مسعود: كُنّا نسمعُ تسبيحَ الطّعامِ وهُو يُؤكَلُ[١٥].

ولا خلافَ في أنَّ الله تعالى قادرٌ على إنْطاق الحجر الأصم من غير مخارج، فَلِمَ لا يقدرُ سبحانه على التكلّم إلاّ من المخارج؟

واحتجّوا بأنَّ الحروف يدخلها التعاقب، فيسْبِقُ بعضُها بعضاً.

والجواب: أنَّ هذا إنما يلزم في حقّ من يتكلّم بالمخارج والأدوات، والله سبحانه لا يوصف بذلك، وعلى أن هذا يعودُ إلى تشبيه الله تعالى بعباده، فإنّه لا يُتَصَوّرُ في حقِّهِ إلاّ ما يُتَصَوّرُ منهم، وهو باطل في نفسه[١٦].

= الزهري: هي الخلافة التي أعطاها الله أبا بكر وعمر وعثمان» قال الهيثمي: «وفيه محمدبن أبي حميد وهو ضعيف».

والثالث: ذكر الحافظ ابن حجر الحديث في «الفتح» ٥٩٢/٦ من طريق صالح المعلة فقط، ثمَّ قال: «وأما تسبيح الحصى فليست له الا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها».

قلت: وهذا ذهول عن الطريق الصحيحة التي سقتها، والله أعلم.

(١٥) حديث صحيح.

أخرجه أحمد رقم (٤٣٩٣) والبخاري ٥٨٧/٦ والترمذي رقم (٣٦٣٣) والدارمي رقم (٢٩) من طريق إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله بن مسعود به في حديث مطّول.

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(١٦) لفظ (التعاقب) مجمَل في اعتراضات أهل البدع.

وهو وارد عندهم على معنيين، اوّلهما حق، والثاني باطل.

أما الأول: فعلى أنَّ الحروف يسبق بعضها بعضاً في نظم الكلام، فالسين عقب الباء، والميم عقب السين في كلمة (بسم) مثلاً، وهذا التعاقب وارد في كلام الله تعالى، وهو ظاهر في القرآن، وليس فيه دليل على خلق الحروف في كلام الله، لأنه تعالى يتكلم بمشيئته واختياره، فهو يتكلم كلاماً بعد كلام، وهذا أصل قد شرحناه وفصّلناه في كتابنا في صفة كلام الله تعالى.

والثاني: أنه تعالى يتكلم على صفة تكلم المخلوق، فيدخل في كلامه السكوت لانقطاع النفس وغير ذلك مما هي صفة تكلم المخلوق، وهذا باطل لم يقل به أحد من أهل السنة،

فإنْ قالوا: فما دليلكم على أنَّ هذه السورَ المشتملةَ على الحروف قرآن؟

قلنا: كتابُ الله تعالى، وسنة نبيِّه عليه السلام، وإجماع الأمَّة.

أمّا كتابُ الله تعالى، فقوله سبحانه: ﴿ومَا علَّمناهُ الشِعْرَ وما ينْبغي لهُ إنْ هُوَ إلاّ ذِكْرٌ وقُرْآنٌ مُبينٌ﴾ [يس: ٦٩].

فأخبر الله تعالى أنّ الذي سمَّوه شِعراً قرآنٌ مبينٌ، وما ليس بحروف لا يجوز [أنْ] يكون شعراً عند أحدٍ، فلمّا ثبت أنّهم سمّوه شِعراً دلَّ على أنّه حروف.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالجِنُّ على أنْ يأتوا بمِثلِ هذا القُرآنَ لا يَأتونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

فأشار إلى حاضر وتحدّاهم بالإتيان بمثله، ولا يجوز التحدّي بما لا يُعْلَم ولا يُدْرى ما هو.

وقال تعالى: ﴿إنَّ هذا القرآنَ يَقُصُّ على بني إسْرائيلَ﴾ [النمل: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿إنَّ هذا القُرآن يهْدي لِلَّتي هِيَ أقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أنزلنا هذا القُرآنَ على جَبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١].

وقال تعالى: ﴿كتابٌ أنْزَلْناهُ إليكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّروا آياته﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وإذا تُتلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الذينَ لا يَرْجونَ لقاءَنا ائتِ بقُرآنٍ غيرِ هذا أو بَدِّلْهُ قُلْ ما يكونُ لي أنْ أُبدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نفْسي إنْ أتَّبِعُ إلاّ ما يُوحى إليَّ﴾ [يونس: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿وإذا تُتْلى عَلَيْهِم آياتُنا قالوا [قَدْ سَمِعْنا[١٧]] لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا﴾ [الأنفال: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَقالوا لَوْلا نُزِّلَ هذا القُرآنُ عَلى رجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١][١٨].

= وأهل البدع معهود منهم قياس صفة الخالق على صفة المخلوق، فيقع التعطيل. وأهل السنة يقولون: كيفية تكلم الرَّب تعالى مجهولة للعباد، وهو لا يشبه تكلّمهم.

(١٧) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل.

(١٨) في الأصل.. لولا أنزل، وهو خطأ.

فأخبر الله تعالى عنهم أنّهم طلبوا منه الإتيان بغيره، أو تبديله، ومرة أنّهم ادّعوا القدرة على أنْ يقولوا مثله، ومرَّةً قالوا: لولا أنزلَ على غيره، عُلِمَ يقيناً أنّه هذا الموجود عندنا الذي هو سور وآيات، وحروف وكلمات.

وقالَ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفنا للناسِ في هذا القُرآن مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فأبى أكثرُ النّاسِ إلاّ كُفوراً﴾ [الإسراء: ٨٩].

وقالَ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا في هذا القُرآن لِيَذَّكروا﴾ [الإسراء: ٤١].

وقالَ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا في هذا القرآن لِلناسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وكانَ الإنْسانُ أكثر شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلناسِ في هذا القُرآن مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرون، قُرآنا عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتّقونَ﴾ [الزمر: ٢٧ ــ ٢٨][١٩].

وهذه إشارة إلى حاضر، والذي صُرِّفتْ فيه الأمثال إنّما هو هذا القرآن العربي الذي يَعرفه الناس قرآناً.

وسَمّاه الله تعالى ﴿عَرَبِيّاً﴾ وهذا إنما يوصَف به النظم الذي هو حروف، دونَ ما لا يُعْرَفُ ولا يُدْرى ما هو.

وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿كِتابٌ فُصّلتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [فصّلت: ٣].

وقالَ سبحانه: ﴿وَإنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمينَ، نَزَلَ بِهِ الرّوح الأمينُ● على قَلْبكَ لِتكونَ مِنَ المُنْذرينَ● بِلِسانٍ عَرَبِيٍ مُبينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ــ ١٩٥].

وقالَ: ﴿وَكَذلكَ أَنْزلناهُ قُرآناً عَرَبيّاً وَصَرَّفْنا فيهِ مِنَ الوَعيدِ﴾ [طه: ١١٣].

وقالَ: ﴿إنّا أَنْزَلناهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَعَلّكُمْ تَعْقِلونَ﴾ [يوسف: ٢].

وقالَ: ﴿وهَذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِياً﴾ [الأحقاف: ١٢].

وهذه الآياتُ وأشباهُها في كتابِ الله تعالى كثير، تدلُّ بمجموعها على أنَّ القرآن هذا الذي هو سورٌ محكماتٌ، وآياتٌ مُفَصَّلات، وحروف وكلمات، وإنْ تطرَّقَ احتمالٌ بَعْضَها فلا يتطرّق إلى مجموعها.

---

(١٩) في الأصل: ولقد صرفنا.. وهو خطأ.

وقال النبي ﷺ: «إنَّ هذا القرآنَ مأدبةُ الله، فتعلّموا مِنْ مأدبته ما استَطعتمْ، إنَّ هذا القرآن هو حبلُ الله تعالى، هو النورُ المبينُ، والشفاءُ النافعُ، عِصمةٌ لمن تمسَّكَ بِهِ، ونجاةٌ لِمَنْ تَبِعَه، لا يَعْوَجُّ فيُقَوَّم، ولا يَزيغُ فيَسْتَعْتِب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخلَقُ عن كثرةِ الرّدِّ، فاتلوه، فإن الله يأجُرُكم على تلاوته بكل حرفٍ عشرَ حسنات، أما إنّي لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرفٌ، ولكن في الألف عشرٌ، وفي اللاّم عشرٌ، وفي الميم عشرٌ»[٢٠].

---

(٢٠) حديث ضعيف مرفوعاً، إلاّ أنه ثابت صحيح موقوفاً على ابن مسعود، كما يأتي بيانه.
أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/٤٨٢ ـــ ٤٨٣ وابن نصر في «قيام الليل» ص: ١٥٥ ـــ مختصره ـــ والآجري في «آداب حملة القرآن» ق ١٣٤/ب ـــ ١٣٥/أ والحاكم ١/٥٥٥ وابن حبّان في «المجروحين» ١/١٠٠ وابن مردويه ـــ كما في «تفسير ابن كثير» ٢/٨٤ ـــ وابن الجوزي في «العلل» ١/١٠١ ـــ ١٠٢ من طرق عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبدالله به مرفوعاً.
قال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد» وتعقبه الذهبي بقوله: «إبراهيم بن مسلم ضعيف» وكذا ضعّفه ابن الجوزي.
قلت: هو الهجري المذكور، كوفي صدوق، إلا أنّه سيء الحفظ، وكان رفّاعاً، سوى رواية ابن عيينة عنه فإنها جيدة، لأنه ميّز له احاديثه.
فالإسناد ضعيف مرفوعاً إذاً.
وممّا يؤكد ضعفه مرفوعاً أنَّ ابن عيينة رواه عنه عن أبي الأحوص عن عبدالله موقوفاً عليه.
أخرجه عبد الرزاق ٣/٣٧٥ ومن طريقه: الطبراني في «الكبير» ٩/١٣٩.
قلت: وهذا إسناد جيد عن ابن مسعود.
وتابع ابن عيينة على وقفه جعفر بن عون، عند الدرامي رقم (٣٣١٨).
وتابع ابو إسحاق السَّبيعي إبراهيم الهجري، فرواه عن أبي الأحوص عن عبدالله موقوفاً، بأوله.
أخرجه عبد الرزاق ٣/٣٦٨ ـــ ٣٦٩ والدارمي رقم (٣٣١٠) والطبراني ٩/١٣٨ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٢/٢٧٢ من طرق عن أبي إسحاق.
قلت: وهذه متابعة جيدة على صدر الحديث.

ورُوي أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه[٢١].
والسنّة مشحونة بذلك[٢٢].

= وقد رفعها محمد بن عجلان عن أبي إسحاق.
أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٢٧٨/٢ وإسناده جيد، لكن الوقف أصح، رواه كذلك جماعة عن أبي إسحاق.
وكذا تابع الهجريَّ وأبا إسحاق عطاء بن السائب على آخر الحديث، واختلف عليه رفعاً ووقفاً.
فرواه الخطيب في «تاريخه» ٢٨٥/١ ـــ ٢٨٦ من طريق أبي عاصم عن سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي الأحوص عن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم.
قلت: وسنده جيد، لكن رواه الدارمي رقم (٣٣١١) عن قبيصة عن سفيان، فوقفه.
وتابع سفيان على وقفه جماعة:
١ ـــ شعبة بن الحجاج، عند الطبراني ١٤٠/٩ وإسناده صحيح.
٢ ـــ حماد بن زيد، عند الطبراني أيضاً ١٤٠/٩ وإسناده صحيح.
وسفيان هو الثوري، وشعبة، وحماد بن زيد سمعوا من عطاء قبل اختلاطه.
٣ ـــ حماد بن سلمة، عند الآجري في «آداب حملة القرآن» ق ١٣٥/أ وقرن أبا البختري بأبي الأحوص، وسنده جيد إن كان حماد رواه عن عطاء قبل الاختلاط، وإلا فإنه لا بأس به في المتابعات.
٤ ـــ أبو الأحوص سلاّم بن سليم، عند الفريابي في «فضائل القرآن» ق ١٨٤/ب وإسناده لا بأس به في المتابعات لأنّ أبا الأحوص لم يتبين قِدَم سماعه من عطاء.
وتابع الثلاثة عاصم بن أبي النجود عن أبي الأحوص عن عبدالله موقوفاً عند الحاكم ٥٦٦/١ وفيه مَن لم أعرفه، ورواه عَقِبَه مرفوعاً، وفي إسناده لين، أمّا هو فقال: «صحيح الإسناد».
فالخلاصة أنَّ الحديث صحيح موقوفاً ، ضعيف مرفوعاً ، إذ الأثباتُ على وقفه، ولي تفصيل آخر حول هذا الحديث في تحقيقي لكتاب «الرد على من يقول (الم) حرف» لأبي القاسم ابن منده.

(٢١) وهو الصحيح كما بيّنته في التعليق السابق.

(٢٢) وقد ذكرت في ذلك حديثاً لابن عباس مرفوعاً، وهو صريح في إثبات الحرف، وبعضَ الآثار، فانظر كتابي «العقيدة السلفية» ص: ١٤١.

والأمةُ مُجْمِعَةٌ على أنَّ هذا هو القرآن الذي لا تصحُّ الصَّلاةُ إلاّ به[٢٣].

ولا تصحُّ الخُطبة الاّ بآيةٍ منه[٢٤].

ولا يقرأهُ حائضٌ ولا جُنُب[٢٥].

ولَمّا اختلفَ أهلُ الحقّ والمعتزلة، فقال أهلُ الحقّ: القرآن كلام الله غير مخلوق، وقالت المعتزلة: هو مخلوق، لمْ يكنْ اختلافهم في هذا الموجود[٢٦] دونَ ما في

---

(٢٣) دلائل ذلك مستفيضة في السنّة، ومنها أحاديث وجوب القراءة بأم القرآن، وقد فصَّلْتُ ذلك في كتابي: «الاعلام بوجوب قراءة الفاتحة وراء الإمام» يسّر الله إتمامَه.

(٢٤) يعني أقلّ ذلك، وهذه من مسائل الخلاف، والتحقيق القول باستحباب ذلك.
والدليل عليه مواظبة النبيّ ﴿ﷺ﴾ على قراءة القرآن في خُطَبه.
وذهب الشافعية وأحمد في رواية ــ وعليها عامة أصحابه ــ إلى اشتراط ذلك.
وذهب الحنفية والمالكية وأحمد في رواية إلى عدم اشتراطه، وهو الأقوى والأصحّ، إذ لا نصَّ فيه يمكن الإعتماد عليه.

(٢٥) هذا مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف، واحتجّوا له من السنة ببضعة أحاديث:
عن عليّ بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري، وعبدالله بن عمر، وجابر بن عبدالله، وعبدالله ابن رواحة، وعبدالله بن مالك الغافقي.
لكن جميعها أحاديث ضعاف لا يثبت منها شيء، بل أكثرها واهٍ وساقط، وما احتمل ضعفه منها لا دلالة فيه على التحريم، لأنّه فعل، غايته الدلالة على الكراهة إن ثبت.
وهذه الأحاديث جملة ما استدلوا به على المنع.
وذهب ابن عباس، وابن المسيب، وعكرمة، والبخاري، وابن المنذر، وابن جرير الطبري، والظاهرية، إلى جواز القراءة، وهو التحقيق، ورخّص مالك للحائض في إحدى الروايتين عنه، وذهب قومٌ إلى القول بالكراهة..
وتفصيل مذاهبهم وتحقيق أدلتهم في غير هذا الموضع.

(٢٦) هذا المعنى أباه بعضُ مَن يُنسب للتحقيق من رؤوس الأشعرية، فيقول: إنَّ قول من قال من أئمة السنة: القرآن كلام الله غير مخلوق، إنّما أرادوا به دفع ما قد يتوهَّم أن المخلوق إنّما هو الكلام النفسي، وليس مرادهم أنَّ ما بين أيدينا غير مخلوق، وهذا هو الذي وقعتْ فيه المحنة، هذا ما يزعمه الباجوري شارح «الجوهرة» ص: ٩٤.

نفسِ الباري، مِمّا لا يُدْرى ما هو، ولا نعرفه[٢٧].

ولَمّا أمَرَ الله تعالى بترتيل القرآن بقوله سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ القرآنَ تَرْتيلاً﴾ [المزمل: ٤] لَمْ يفهم منهُ المسلمون إلاّ هذا الموجود.

ولما قالَ الوليدُ بن المغيرة: ﴿إنْ هذا إلاّ قَوْلُ البَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] إنّما أشارَ إلى هذا النظم، فتوعده الله عزَّ وجلَّ، فقال: ﴿سأُصْليهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦].

ولمّا قالوا: ﴿لَنْ نؤمِن بهذا القرآن ولا بالذي بين يَدَيْهِ﴾ [سبأ: ٣١] إنما اشاروا إليه. ولمّا قالوا: ﴿إنْ هذا إلا أساطيرُ الأوَّلينَ﴾ لَمْ يَعْنوا غيره.

ولَو لم يكن هذا النظم قُرآناً[٢٨]، لوجبَ أن تبطَلَ الصلاةُ به، لأنَّ النبي ﷺ قال:

= ما أجرأ هذا القائل على الافتراء على أئمة السنّة الذين لم يعلَموا ما الكلام النفسي الذي تدّعيه الأشعرية ولم يَدْروه، وإنّما وقعت المحنة، وابتلي من ابتلي من الأئمة لقولهم في هذا القرآن الذي بين أيدينا والذي لا قرآن سواه: كلام الله غير مخلوق.

ومن الجهل أن يحمَل كلام الأئمة في تكفير مَن قال بخلق القرآن على دفع ما قد يرد من توهم أن يُراد به الكلام النفسي، خاصة وأنَّ العامّة لا يَدرون ما الكلام النفسي، وإذا ذكر عندهم القرآن فلا يفهمون من إطلاقه إلاّ هذا الذي بين أيديهم، فإذا كان هذا مخلوقاً ــ على زعم الأشعري ــ فهو موافق لقول المعتزلة في حقيقة الأمر، يؤكّده أنَّ المعتزلة أنفسهم لم يكونوا يعرفون الكلام النفسي، بل أنكروه على الكلاّبية والأشعرية.

(٢٧) القائلون بالكلام النفسي أنفسهم لم يقدروا على تصوره تصوّراً صحيحاً، ولم يقدروا على تعريفه تعريفاً منضبطاً، وهذا يؤكّد ضلالهم في هذا الباب.

وقد ذكرتُ عقيدتهم هذه وما أوردوه من الشُبه لتثبيتها، وأبطلتها عليهم بتفصيل، في كتابي «العقيدة السلفية في كلام ربّ البرية».

(٢٨) أرادَ القرآن الذي هو كلام الله على الحقيقة، وذلك أنَّ الأشعرية ينكرون أن يكون هذا القرآن العربي هو القرآن الذي هو كلام الله حقيقة، وإنّما هذا القرآن العربي دلالة على ذاك وعبارة عنه، وليس هو كلام الله على الحقيقة.

«إنَّ صلاتنا هذه لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلامِ الناسِ، إنّما هي التسبيحُ والتكبيرُ وقراءةُ القرآنِ»[29].

فعلى قول هؤلاء المخذولين يكون القرآن الذي لا تصحُّ الصلاة إلاّ به مُبْطلاً لها، لأنّه ليس بقرآن، وإنما هو تصنيف جبريل، وهذه فضيحة لم يُسْبقوا إليها.

وأجمع المسلمون على أنَّ في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، وإنّما يتعلّق هذا بالنظم دونَ ما في النفس.

وأجمعوا على أنَّ القرآنَ معجزٌ للخلق، عجزوا عن الإتيان بعشر سور مثله[30]، أو سورة مثله[31]، وإنّما يتعلّق ذلك بهذا القرآن.

وهو هذا القرآن الذي أجمع عليه المسلمون، وكفر به الكافرون، وزعمَت المعتزلة أنّه مخلوق، وأقرَّ الأشعريُّ أنّهم مُخطِئون، ثُمَّ عادَ فقالَ: هو مخلوق، وليس بقرآن، فزاد عليهم[32].

---

(٢٩) حديث صحيح.

أخرجه أحمد ٤٤٧/٥، ٤٤٨ ومسلم رقم (٥٣٧) وأبو داود رقم (٩٣٠، ٩٣١) والنسائي ١٤/٣ ــ ١٨ والدارمي رقم (١٥١٠، ١٥١١) من طريق هلال بن أبي ميمونة عن عطاء ابن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي به مرفوعاً في قصة.

(٣٠) كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقولونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

(٣١) كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقولونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

(٣٢) الأشعري وأتباعه يحسَبون أنهم وافقوا أهل السنة، وأبطلوا اعتقاد المعتزلة بما ابتدعوه مِمّا سمَّوه بالكلام النفسي، فقالوا: هو الصفة القديمة الثابتة لله، أمّا القرآن العربي فهو ألفاظ موضوعة للدلالة عليه، وهي مخلوقة، والحقّ أنَّ الكلامَ النفسي لا حقيقة له، وإنما هو من وساوس أهل البدع، فانتفى أنْ تكون لله صفة على هذا التفسير، وعليه فحقيقة قول الأشعرية عدم إثبات صفة الكلام لله تعالى، لأنَّ الله لا يُضاف إليه شيء مخلوق، وهذا القرآن العربي مخلوق عندهم فلا تصحّ إضافته لله، فزادوا بهذا على المعتزلة، ذلك لأنهم وافقوهم في أنَّ هذا القرآن العربي مخلوق، وزادوا عليهم أنّه ليس كلام الله، والمعتزلة يقولون: هو كلام الله.

ولا خِلافَ بين المسلمينَ أجمعينَ أنَّ مَنْ جَحَد آيةً أو كلمةً مُتَّفَقاً[٣٣] عليها، أو حرفاً مُتفقاً عليه أنّه كافر.

وقال عليّ رضي الله عنه: «منْ كفر بحرفٍ منه فقد كفر به كلّه»[٣٤].

والأشعري يجحده كُلَّه، ويقول: ليس شيء منه قرآناً، وإنّما هو كلامُ جبريل[٣٥].

ولا خلاف بين المسلمين كُلّهم في أنَّهم يقولون: قال الله كذا، إذا أرادوا أنْ يخْبروا عن آيةٍ، أو يستشهدوا[٣٦] بكلمةٍ من القرآن، ويقرّون كلّهم بأن هذا قول الله، وعند الأشعريّ ليس هذا قول الله، وإنمّا هو قول جبريل[٣٧]، فكان ينبغي لهم أنَّهم يقولون: قالَ جبريل، أو قالَ النبيُّ ﷺ إذا حَكَوا آيةً.

ثمَّ إنَّهم قد أقرّوا أنَّ القرآن كلامُ الله غير مخلوق، فإذا لم يكن القرآنُ هذا الكتاب العربيّ الذي سمّاه الله قرآناً، فما القرآن عندهم؟ وبأيّ شيءٍ عَلِموا أنَّ غير هذا يُسمى قرآناً، فإنَّ تسمية القرآن إنّما تُعْلَم من الشرع، أو النصّ، فأمّا العقل فلا يقتضي تسمية صفة

---

(٣٣) كتبت في الأصل: متفق، وحقّها النصب.

(٣٤) لم أقف عليه من قول علي رضي الله عنه.

وأخرج ابن أبي شيبة ١٠/٥١٣ ـ ٥١٤ وابن جرير رقم (٥٦) من طريق شعيب بن الحبحاب قال: كان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل: ليس كما يقرأ، وإنما يقول: أمّا أنا فأقرأ كذا وكذا، قال: فذكرتُ ذلك لإبراهيم النخعي، فقال: «أرى صاحبك قد سمع: أنَّ من كفر بحرف منه فقد كفر به كلّه» وإسناده صحيح.

وأخرج ابن جرير رقم (٥٨) من طريق إبراهيم عن عبدالله قال: «من كفر بحرف من القرآن أو بآية منه فقد كفر به كله» وهذا منقطع بين إبراهيم وهو النخعي وابن مسعود، وفيه أيضا محمد بن حميد واهٍ، وانظر التعليق الآتي رقم (٤٦).

(٣٥) أبو الحسن الأشعري نفسه لا يقول بهذا وإنّما هو قول بعض أتباعه، كما سبق في التعليق رقم (٢).

(٣٦) في الأصل: يستشهدون.

(٣٧) كأنَّ الشيخ المصنف يريد بالأشعري النسبة لا الأشعري نفسه كما يبدو من ظاهر السياق، وانظر التعليق (٣٥).

الله قرآناً، وما ورد النصّ بتسميته القرآن إلاّ لهذا الكتاب، ولا عَرفتْ الأمةُ قرآناً غيره، وتسميتهم غيره قرآناً تحكّمٌ بغير دليلٍ شرعي ولا عقلي، مخالفٌ الكتابَ والسنة وإجماع الأمّة.

ومدار القوم على القول بخلق القرآن ووفاق المعتزلة، ولكن أحبّوا أنْ لا يُعْلَمَ بهم فارتكبوا مكابرة العيان، وجحد الحقائق، ومخالفة الإجماع، ونبذ الكتاب والسنةِ وراءَ ظهورهم، والقول بشيءٍ لم يَقُله قبلهم مسلمٌ ولا كافر.

ومن العجب أنّهم لا يتجاسرون على إظهار قولهم، ولا التصريح به إلاّ في الخلوات، ولَوْ أنّهم وُلاةُ الأمر وأرباب الدولةِ، وإذا حكيت عنهم مقالتهم التي[٣٨] يعتقدونها كَرِهوا ذلك وأنكروه، وكابروا عليه، ولا يتظاهرون الا بتعظيم القرآن، وتبجيل المصاحف، والقيام لها عند رؤيتها، وفي الخلوات يقولون: ما فيها إلاّ الورق والمداد، وأي شيءٍ فيها؟

وهذا فعل الزنادقة[٣٩].

ولقد حكيتُ عن الذي جَرَتْ المناظرةُ بيني وبينَه بعضَ ما قاله، فنقل إليه ذلك، فغضبَ وشقَّ عليه، وهو من أكبر وُلاة البلد، وما أفصح لي بمقالته حتى خلوْتُ معه، وقال: أريدُ أنْ أقولَ لك أقصى ما في نفسي، وتقول لي أقصى ما في نفسك، وصرح لي بمقالتهم على ما حكيناه عنهم، ولمّا ألزمته بعض الآيات الدالّة على أنّ القرآن هو

---

(٣٨) في الأصل : الذي.

(٣٩) بل ربما وصل الحال ببعضهم إلى الإستهانة بالمصحف وتحقيره ، كما شرحته في كتابي في صفة الكلام.

وأمَّا كتمانهم لاعتقادهم خلق القرآن العربي فهو بيّن من طريقتهم، ويؤكّدونه بردّهم على المعتزلة، وهذا محققهم الباجوري يذكر المنع من ذكر هذا الاعتقاد إلاّ في مقام التعليم، فيقول: «يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلاّ في مقام التعليم» ثم يعلل الكتمان بقوله: «لأنه ربما أوهم أنَّ القرآن، بمعنى كلامه تعالى مخلوق» (شرح الجوهرة ص: ٩٤) فتأمل ما تضمنت هذه المقالة من الشناعة، وكيف أنه فرّق بين القرآن العربي وكلام الله تعالى، ويسترون ذلك خشية الفضيحة.

هذه السور، قال: وأنا أقول: إنَّ هذا قرآن، ولكن ليس هو القرآن القديم، قلت: ولنا قرآنان؟ قال: نعم، وأيّ شيءٍ يكونُ إذا كان لنا قرآنان؟

ثمَّ غضب لمّا حكيتُ عنه هذا القول.

وقالَ له بعض أصحابنا: أنتم ولاة الأمر، وأرباب الدولة، فما الذي يمنعكم من إظهارِ مقالتكم لعامّة الناس، ودعاءِ الناس إلى القول بها بينهم؟ فبهت ولم يجب إليّ[٤٠].

ولا نعرف في أهل البدع طائفة يكتمون مقالتهم، ولا يتجاسرون على إظهارها، إلاّ الزنادقة والأشعرية.

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإظهار الدّينِ، والدعاء إليه، وتبليغ ما أنزلَ عليه، فقال تعالى: ﴿يا أيُّها الرسولُ بلغ ما أُنزلَ إليكَ من رَبِّكَ وإنْ لَمْ تَفْعلْ فما بَلّغْتَ رسالَتَهُ والله يَعصِمكَ منَ النّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

فإن كانت مقالتهم ـــ كما يزعمون ـــ هي الحقّ فهلاّ أظهروها وَدَعوا الناسَ إليها؟

وكيفَ حَلَّ لهم كتمانُها، وإخفاؤُها، والتظاهر بخلافها، وإيهامُ العامّ اعتقاد ما سواها؟ بلْ لو كانت مقالتهم هي الحقّ الذي كان [عليه][٤١] رسولُ الله ﷺ وأصحابه والأئمة الذين بعدهم، كيفَ لم يظهرها أحد منهم؟ وكيفَ تواطأوا على كتمانها؟

أمْ كيف حلَّ للنبيّ ﷺ كتمانها عن أمَّتِه وقد أمر بتبليغ ما أُنزِلَ إليه، وتُوُعِّد على اخفاء شيء منه بقوله: ﴿وإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رسالَتَهُ﴾؟

أمْ كيف وَسِعَه أن يوهِمَ الخلقَ خلاف الحقّ؟

ثم هو ﷺ أشفقُ على أمّته من أن يعلّمه الله حقّاً ويأمره بتبليغه إلى أمّته، فيكتمه عنهم حتى يضلّوا عنه، ثمَّ إذا كتمه فمنْ الذي بلّغه إلى الصحابة حتى اعتقدوه ودانوا

(٤٠) لعلَّ الأصح : إليه.

(٤١) زيادة مني يقتضيها السياق.

به؟ وكيفَ تُصُوِّرَ منهم أن يدينوا به ويتواطأوا على كتمانه، حتى لا يُنقلَ عن أحدٍ منهم مع كثرتهم وتفرّقهم في البلدان؟

فإنْ تُصُورَ ذلك منهم، فمن الذي نَقَله إلى التابعين حتى اعتقدوه؟

فكلُّ هذا من المستحيل الذي يقطع كلُّ ذي لبّ بفساده، ويعلم يقيناً أن رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم ما كانوا يعتقدون في القرآن اعتقاداً سوى اعتقاد المسلمين، وأنّه هذا القرآن العربي الذي هو سور وآيات، وهذا أمرٌ لا يخفى على غير من أضله الله.

وإنَ تصُوّرَ في عقولهم أنَّ الحق خَفِيَ على رسول الله ﷺ، وعلى أصحابه، والتابعين بعدهم، وعلى الأئمة الذين مهَّدوا الدينَ، واقتدَوا بسلفهم، واقتدى بهم مَنْ بعدهم، وغُطّيَ عنهم الصواب، ولم يتبيَّن لهم الصحيح، إلى أنْ جاء الأشعريّ فبيَّنه، وأوضحَ ما خَفِيَ على النبي ﷺ وأمَّته وَكَشَفَهُ، فهذه عقولٌ سخيفة، وآراءٌ ضعيفة، إذْ يُتصَوَّرُ فيها أنْ يضيعَ الحقُّ عن النبي ﷺ ويجدَه الأشعريّ، ويغفل عنه كلُّ الامّة ويَنتبه له دونهم.

وإن ساغَ لهم هذا ساغَ لسائر الكفار نسبتهم لنبيّنا عليه السلام وأمّتِه إلى أنهم ضاعوا عن الصواب، وأُضِلوا عن الطريق، وينبغي أنْ تكون شريعَتُهم غير شريعة محمّدٍ ﷺ، ودينهم غيرَ دين الإسلام، لأنَّ دينَ الإسلام هو الذي جاء به محمد ﷺ، وهذا إنما جاءَ به الأشعري.

وإنْ رضوا هذا واعترفوا به، خرجوا عن الإسلام بالكليّة.

فإن قالوا: فكيف قلتم: إنَّ القرآن حروف، ولم يرد في كتابٍ ولا سنةٍ، ولا عن أحدٍ من الأئمة؟

قلنا: قد ثبتَ أنَّ القرآن هو هذه السور والآيات، ولا خِلاف بينَ العقلاء كلّهم: مسلمهم وكافرهم في أنّها حروف.

ولا يختلف عاقِلان في أنَّ ﴿الحمد﴾ خمسة أحرف.

واتّفق المسلمون كلّهم في أنَّ سورةَ الفاتحة سبعُ آيات، واختلفوا في أنَّ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾ هَل هي آيةٌ منها أم لا، واتفقوا كلّهم على أنّها كلماتٌ وحروفٌ.

وقدْ افتتح الله تعالى كثيراً من سور القرآن بالحروف المقطّعة، مثل: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓرٰ﴾

ولا يجحدُ عاقل كونها حروفاً إلاّ على سبيل المكابرة.

وهذا أمرٌ غير خافٍ على أحدٍ، فلا حاجة إلى الدليل عليه .

فإن قالوا: لا يسوغ لكم أنْ تقولوا لفظةً لم تَرِدْ في كتابٍ ولا سنّة، وإنْ كانَ معناها صحيحاً ثابتاً.

قلنا: هذا خطأ، فإنّه لا خلاف في أنَّه يجوز أنْ يُقال: إنَّ القرآن مائةٌ وأربع عشرة سـورة، وإنَّ سورةَ البقرة مائتان وستّ وثمانون آيةً، وفي عَدِّ آي سُور القرآن وأحزابه وأسباعه وأعشاره، ولم يَرِد لفظ ذلك في كتاب ولا سنة.

على انَّ لفظ الحرف قد جاءت به السنة، وأقوال الصحابة، وإجماع الأمّة.

فقال النبيُّ ﷺ: «من قرأ القرآن، وأعَرَبه، فله بكلّ حرفٍ منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحنَ فيه، فله بكلّ حرف منه حسنة» وهذا حديث صحيح(٤٢).

وقال النبيُّ ﷺ: «اقْرأوا القرآن قبلَ أنْ يأتي قومٌ يقيمونَ حروفه إقامة السَّهْم، لا يُجاوِزُ تَراقيهم»(٤٣).

---

(٤٢) كذا قال المصنف رحمه الله هنا وفي «لمعة الاعتقاد» له ص : ١٨ ولم أقف عليه بهذه السياقة في شيء من كتب السنة، فالله أعلم.

(٤٣) حديث صحيح، لكنه ضعيف بهذا السياق، لا يثبت فيه ذكر الحروف.

أخرجه ابن المبارك في «الزهد رقم (٨١٣) والفريابي في «فضائل القرآن» ق ١٩٢/أ والآجري في «آداب حملة القرآن» ق١٤٣/أ من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن عبدالله بن عبيدة عن سهل بن سعد الساعدي به مرفوعاً نحوه، بعضهم يذكر الحروف وبعضهم لا يذكرها.

قلت: وهذا سند ضعيف، موسى بن عبيدة ضعيف الحديث، وأخوه عبدالله تكلّم فيه لروايته عنه، وقيل: لم يسمَع من سهل بن سعد.

وتابع عبدالله بن عبيدة عليه وفاءُ بن شريح عن سهل بن سعد أنَّ رسول الله ﷺ قال: «فيكم كتاب الله، يتعلمه الأسود والأحمر والأبيض، تعلّموه قبل أنْ يأتي زمان يتعلمه ناس، ولا يجاوز تراقيهم، ويقوّمونه كما يقوَّم السهم، فيتعجّلون أجره، ولا يتأجّلونه».

أخرجه أحمد ٣٣٨/٥ وأبو داود رقم (٨٣١) وابن حبان رقم (١٧٨٦ — موارد) من طريق بكر بن سوادة عن وفاء به، واللفظ لأحمد.

وقالَ عليه السلام: «أُنْزِلَ القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ»[٤٤].

وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: «إعرابُ القرآن أحبّ إلينا مِنْ حفظِ بعض حروفه»[٤٥].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: «مَنْ كفرَ بحرفٍ مِنَ القرآن، فقد كفرَ به كلّه»[٤٦].

وقالَ أيضاً: «تعلّموا البقرةَ، فإنَّ بكلّ حرفٍ منها حسنة، والحسنةُ عشرُ أمثالِها»[٤٧].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «مَن حَلفَ بالقرآن، فعليه بكل حرفٍ كفّارة»[٤٨].

قلت: وإسناده جيد في المتابعات والشواهد ، ليس له علة غير جهالة حال وفاء بن شريح. لكن للحديث شاهد من حديث جابر بن عبدالله وأنس بن مالك، يثبت بهما، دون ذكر الحروف فيه.

(٤٤) حديث صحيح متواتر.

وانظر التعليق السابق برقم (١٢).

وليس فيه دليل على ما ذكره المصنف لأجله، لأنَّ الأحرف المذكورة ليس المراد بها أجزاء الكلمة أو اللفظ، وفي السنة الثابتة ما يغني عن هذا وغيره في إثبات الحرف، فانظر التعليق السابق برقم (٢٢).

(٤٥) أخرجه ابن الأنباري في «الوقف والابتداء» ١/٢٠ وأبو طاهر ابن أبي هاشم في «أخبار النحويين» رقم (١٥) من طريق شريك عن جابر عن محمد بن عبدالرحمن بن يزيد قال: قال أبو بكر وعمر. . فذكر نحوه، وإسناده واهٍ، شريك هو القاضي ولَي القضاء فساء حفظه، وجابر هو الجعفي متروك ساقط لكذبه وبدعته، ومحمد بن عبدالرحمن عن أبي بكر وعمر منقطع.

(٤٦) لم أقف عليه؛ كما سبق تعليق (٣٤).

(٤٧) أخرجه أبو القاسم بن منده في «الرد على من يقول (الم) حرف» (٢٣) وإسناده جيد.

(٤٨) أخرج عبدالرزاق ٨/٤٧٣ عن ابن مسعود أنّه سمع رجلاً يقول: وسورة البقرة ـــ يحلف بها ـــ فقال: «أما إنّ عليه بكل حرف منها يميناً».

وسنده ضعيف، فيه راو مبهم.

وقال ابن عمر: «إذا خرج أحدُكم لحاجته، ثمَّ رجعَ إلى أهله، فليأتِ المصحفَ، فيفتحُه، فيقرأ سورةً، فإنَّ الله يكتبُ له بكلّ حرفٍ عشر حسنات، أما إنّي لا أقولُ: ﴿الٓمٓ﴾ ولكن الألفُ عشرٌ، واللاّم عشرٌ، والميمُ عشرٌ»[(٤٩)].

وقال الحسن البصري: «قُرّاءُ القرآن ثلاثة: فقومٌ حَفِظوا حروفَه، وضيّعوا حدودَه»[(٥٠)].

وقال حذيفةُ وفضالةُ بن عبيد: «خُذْ عليَّ المصحف، ولا تردنَّ عليَّ ألفاً ولا واواً».

وذكرَ أبو عبيد[(٥١)] وغيرُه من الأئمة في تصانيفهم: (باب اختلافهم في حروف القرآن).

وأخرج عبدالرزاق ٤٧٢/٨ والبيهقي ٤٣/١٠ عن ابن مسعود قال: «مَن كفر بحرف من القرآن فقد كفر به أجمع، ومَن حلف بالقرآن، فعليه بكلّ آية منه يمين».

ورجاله ثقات، لكنه منقطع بين إبراهيم النخعي وابن مسعود، إلاّ أنّه أصحّ من الذي قبله، وربما احتج به بعض الأئمة.

(٤٩) إسناده ضعيف جداً.

أخرجه أبو القاسم بن منده في «الرد على من يقول (الم) حرف» رقم (٢٢ ــ بتحقيقي) وفيه ثوير وهو ابن أبي فاختة متروك.

لكن أخرج ابن المبارك في «الزهد» رقم (٨٠٧) عن ابن عباس قال: «ما يمنع أحدكم إذا رجع من سوقه، أو من حاجته، إلى أهله، أنْ يقرأ القرآن، فيكون له بكلّ حرفٍ عشر حسنات».

وسنده جيد.

(٥٠) لم أجده بهذا السياق، لكن أخرج ابن المبارك في «الزهد» رقم (٧٩٣) ــ ومن طريقه: الفريابي في «فضائل القرآن» ق ٩٢/أ ــ : أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال: «... أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إنّ أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كلّه، فما أسقطتُ منه حرفاً، وقد والله أسقطه كلّه...» ضمن كلام طويل، وإسناده لا مطعن فيه غير أن يحيى بن المختار مستور.

(٥١) هو القاسم بن سلاّم، الحافظ الفقيه اللغوي.

واتّفق أهلَ الأمصار، من أهل الحجاز، والعراق، والشام، على عدد حروف القرآن، فعدَّها كلُّ أهلِ مصر، وقالوا: عددها كذا وكذا.

وقال المسيّب بن واضح: قلتُ ليوسف بن أسباط: حدثني أبو عمر الصنعاني حفص ابن ميسرة قال: «القرآن ألفا ألف حرف، وأربعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأ القرآن أعطيَ بكلّ حرفٍ زوجة من الحور العين» فقال لي يوسف بن أسباط: وما يُعجبك من ذلك؟ حدثني محمد بن أبان العجلي عن عبد الأعلى عن إبراهيم التيمي عن ابيه عن عبدالله بن مسعود قال: «مَن قرأ القرآنَ، أعْطيَ بكلّ حرفٍ زوجتين من الحور العين»[٥٢]

ولمْ تزَلْ هذه الأخبار، وهذه اللفظة، متداولة منقولة بين الناس، لا ينكرها منكر، ولا يختلف فيها أحد، إلى أنْ جاءَ الأشعريّ، فأنكرها، وخالفَ الخلقَ كلَّهم: مسلمَهم وكافِرهم[٥٣].

ولا تأثير لقوله عندَ أهل الحقّ، ولا تُتْرَك الحقائقُ وقولُ رسول الله ﷺ وإجماعُ الأمة لقول الأشعريّ، إلاّ من سلَبه الله التوفيق، وأعمى بَصيرَته، وأضلّه عن سواء السبيل.

وقالوا أيضاً: قد قلتم: إنَّ الله يتكلّم بصوت، ولَمْ يأتِ به كتابٌ ولا سنة.

قلنا: بلْ قد ورد به الكَتابُ والسنة وإجماع أهل الحق.

أمّا الكتاب فقول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ الله موسى تَكْليماً﴾. [النساء : ١٦٤].

---

(٥٢) أخرجه أبو القاسم بن منده في «الرد» رقم (١٩) وسنده ضعيف، المسيب وابن أسباط وعبدالأعلى ــ وهو الثعلبي جميعاً صدوقون فيهم ضعف من جهة حفظهم، ومحمد بن أبان لم أعرفه إلاّ أن يكون الجعفي وهو ضعيف، ولسنا ــ بحمد الله ــ بحاجة إلى إثبات ورود الحرف في كلام السف إلى مثل هذا الخبر، ففي الآثار الثابتة مقنع عن الاحتجاج لذلك بمثل هذا الخبر، وقد سبق إيراد بعضها.

(٥٣) بل أنكرها قبل الأشعري عبدالله بن سعيد بن كلاّب ــ رأس الكلاّبية ــ وجرى الأشعري على أثره.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاّ وَحْياً أوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾ الآية [الشورىٰ ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَإذْ نادَى رَبُّكَ مُوسى﴾ [الشعراء: ١٠].

ولا خلافَ بينَنا أنَّ موسى سمع كلامَ الله من الله بغير واسطة، ولا يُسْمَع إلاّ الصوت، فإنَّ الصوتَ هو ما يتأتّى سماعه[٥٤].

وقد صحَّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قالَ: «انَّ الله يَجْمَعُ الخلائقَ، فيُناديهم بصوتٍ، يَسمعه من بَعُدَ كما يَسمَعُ من قَرُبَ: أنا المَلِكُ، أنا الدّيّانُ»[٥٥].

وذكَرَ عبدالله بن أحمد أنّه قال: سألتُ أبي، فقلت: يا أبَهْ، إنَّ الجَهمية يزعمون أنَّ الله لا يتكلّم بصوتٍ؟ فقال: «كذبوا، إنّما يدورون على التعطيل»[٥٦].

---

(٥٤) لكن جمهور الأشعرية أبوا التسليم لكون موسى سمع كلام الله على الحقيقة، قالوا: وإنّما سمع العبارة عن كلام الله، وهذا تكذيب للقرآن لتقرير بدعتهم في نفي تكلّم الربّ تعالى بصوت، وربما صرّح بعضهم بكون موسى سمع كلامَ الله بغير صوت، حيث أنه سمع معنىً مجرّداً، وهو من تناقضهم الفاضح، ومكابرتهم للمعقول والمنقول، إذ ليس عندهم عليه حجّة لا عقلية ولا لغوية ولا شرعية، والله تعـالى إنّما خاطب العباد بهذا اللسان العربي، ولا يُعرَف فيه سماع بغير صوت، ولكن هذا شأن الابتداع وترك الإتباع ، يضلُّ عن الهدى، ويبعد عن الصواب.

(٥٥) حديث حسن، وهذا جزء منه وقد ذكره المصنف بنحوه.

أخرجه أحمد ٤٩٥/٣ والبخاري في «الأدب» رقم (٩٧٠) وآخرون من حديث جابر عن عبدالله بن أنيس.

وقد فصّلت القولَ فيه في تحقيق جزء «الحديث الذي رحَل فيه جابر بن عبدالله مسيرة شهر» لابن ناصر الدين الدمشقي.

(٥٦) نقل نحوه شيخ الإسلام ابن تيمية عن كتاب «السنة» لعبدالله بن أحمد، قال: قلتُ لأبي: إنَّ ههُنا مَنْ يقول: إنَّ الله لا يتكلّم بصوت، فقال: «يا بنيّ، هؤلاء جَهمية زنادقة، إنّما يَدورون على التعطيل» (مجموع الفتاوى ٣٦٨/١٢) غير أني لم أجده في كتاب «السنة» المطبوع، فلعله سقط من بعض النسخ.

ثمَّ قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ قال: حدثنا سليمان بن مهران الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إذا تكلَّم الله بالوَحْي سمعَ صوته أهلُ السماء»(٥٧).

قالَ أبو نصر السِجْزي ــ رحمه الله ــ: وهذا الخبر ليس في رواته إلاّ إمام مقبول، وقد روي مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ(٥٨).

---

(٥٧) حديث صحيح، وهذا بعضه، وانظر تحقيقه وتخريجه في التعليق على كتابي «العقيدة السلفية» ص: ١٤٩.

(٥٨) والوقف أصحّ، مع أنّ له حكم الرفع، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي.
أمّا المرفوع فجاء من وجهين وقفت عليهما عن مسروق عن عبدالله:
١ ــ أبي الضحى عن مسروق.
٢ ــ السدّي عن أبي مالك عن مسروق.
ذكر هذه الطريق ابن حجر في «الفتح» ١٣/٤٥٦ معزوّة لابن أبي حاتم، وإسنادها واهٍ.
أما الطريق الأولى فلها عن أبي الضحى طريقان:
الأوّل : الحسن بن عبيدالله النخعي، وقد ذكره ابن حجر أيضاً.
والثاني: الأعمش، واختلف عليه فيه.
فرفعه عنه قرّان بن تمام ــ كما ذكره عبدالله بن أحمد في «السنة» .
ووافقه أبو معاوية مرّة، وخالفه أخرى فوقفه.
أخرجه عن أبي معاوية مرفوعاً: أبو داود رقم (٤٧٣٨) وابن خزيمة في «التوحيد» ص:١٤٥ وغلام الخلاّل في «السنة» ق ١٥٥/أ ــ ب والبيهقي في «الأسماء» ص: ٢٠١، ٢٠٢ وابن الطبري رقم (٥٤٧، ٥٤٨) واسماعيل التيمي في «الحجة» ق ٦١/أ.
وأخرجه عنه موقوفاً: ابن خزيمة ص: ١٤٦ وعبدالله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٣٧) والنجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» والبيهقي في «الأسماء» ص: ٢٠١.
قال عبدالله بن أحمد: «ورواه أبو معاوية ببغداد فرفعه مرّة».
قلت: لكن الموقوف أصحّ وأرجح، رواه جماعة من الأثبات عن الأعمش فوقفوه:
١ ــ شعبة بن الحجاج، عند ابن خزيمة ص: ١٤٦ والدارمي عثمان في «الردّ على الجهمية» رقم (٣٠٨) وابن الطبري رقم (٥٤٩).
٢ ــ جرير بن عبدالحميد، عند عبدالله، والنجاد.

وفي بعض الآثار: أن موسى عليه السلام لمّا ناداه ربُّه: يا موسى، أجابَ سريعاً استئناساً بالصوت، فقال: لبّيكَ أسمَعُ صوتك، ولا أرى مكانكَ، فأينَ أنتَ؟ قال: أنا فوقَكَ، وأمامَك، ووراءك، وعن يمينك، وعن شِمالك ـــ فعَلِمَ أنَّ هذه الصفة لا تنبغي إلاّ لله عزَّ وجلَّ ـــ قال: فكذلك أنت يا ربّ، أفكلامَكَ أسمعُ أم كلامَ رسولِكَ؟ قالَ: بل كلامي.

وفي أثر آخر: أنَّ موسى عليه السلام لمّا ناجاه ربُّه، ثمَّ سَمِعَ كلامَ الآدميين، مَقَتَهم، لِما وَقَر في مسامعه من كلام الله تعالى[٥٩].

ومثله في الآثار كثير، تناولته الأمّة، ولمْ ينكره إلاّ مبتدعٌ لا يُلْتَفتُ إليه.

فإنْ قالوا: فالصوت لا يكون إلاّ مِنْ هواء بين جرمين.

قلنا: هذا من الهذيان الذي أجبنا عن مثله في الحرف، وقلنا: إنَّ هذا قياسٌ منهم لربّنا تبارك وتعالى على خلقه، وتشبيهٌ له بعباده، وحكمٌ عليه بأنّه لا تكون صفته إلاّ كصفات مخلوقاته، وهذا ضلالٌ بعيد.

---

٣ ـــ وكيع، عند ابن خزيمة ص: ١٤٧.

٤ ـــ حفص بن غياث، عندالبخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٤٦٦).

٥ ـــ ابن نمير، عند ابن خزيمة ص: ١٤٦ ـــ ١٤٧ وعبدالله، والنجاد.

٦ ـــ أبو حمزة السكري، عند البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٤٦٥).

٧ ـــ المحاربي ، وقد سبقت الاشارة الى روايته في التعليق، وهي التي ذكرها المصنف.

فهؤلاء جميعاً وقفوه، وكلهم أثبات لا يقابلهم قرّان، ولا اضطراب أبي معاوية فيه، وإذا ترجح هذا في رواية الأعمش ، فلا تقابلها رواية الحسن بن عبيدالله المرفوعة، لأن الحسن دونه بدرجات.

ويؤكد الوقف رواية منصور عن أبي الضحى موقوفة، عند ابن جرير ٩٠/٢٢ وابن خزيمة ص:١٤٦.

وإسنادها صحيح.

(٥٩) مراد المصنف بسياق هذين الأثرين الاستدلال لتلقي الأمّة عقيدة تكليم الله لموسى بصوت بالقبول، وإلاّ فإنّ الدليلَ على ذلك من اللغة والشرع وكلام السلف مستفيض، وقد سبق ما يكفي لمن عقل، وقد بسطت ذلك وفصلته في كتابي في كلام الله تعالى.

ثمَّ إنّه يلزمُهم مثلُ هذا في بقيّة الصفات على ما أسلفناه.

على أنَّ معتمدَنا في صفات الله عزَّ وجلَّ إنّما هو الاتّباع نَصِفُ الله تعالى، بما وصَفَ به نفسه، ووصفه به رسولُه، ولا نتعدّى ذلك، ولا نتجاوزهُ، ولا نتأوَّله، ولا نُفسِرُهُ، ونعلمُ أنَّ ما قالَ الله ورسولُه حقٌ وصدقٌ لا نشكُّ فيه ولا نَرْتابُ، ونعلَمُ أنَّ لِما قالَ الله ورسولُه معنى هو به عالمٌ فنؤمن به بالمعنى الذي أراده، ونكلُ عِلْمَه إليه، ونقول كما قالَ سلفُنا الصالحُ، وأئمّتُنا المقتدى بهم: آمَنّا بالله، وما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنّا برسول الله، وما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله، نقول ما قالَ الله ورسوله، ونسكت عَمّا وراءَ ذلك، نتّبعُ ولا نَبْتَدعُ، بذلك أوصانا الله تعالى في كتابه، وأوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنّته، وأوصانا به سلَفُنا رضي الله عنهم.

فقالَ الله تعالى: ﴿وَأنَّ هذا صِراطي مُستقيماً فاتّبِعوه وَلا تتّبعوا السُبُلَ فَتَفرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقالَ تعالى: ﴿وَاتَّبِعوا أحسَنَ ما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِن رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥].

وقال لرسوله عليه السلام: ﴿قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحبّون الله فاتّبعوني يُحبِبْكُم الله﴾ [آل عمران: ٣١].

وقالَ النبيّ ﷺ: «عَليكُم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بَعدي عَضّوا عليها بالنّواجذ، وإيّاكُم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بِدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»[٦٠].

---

(٦٠) حديث صحيح.

أخرجه أحمد ١٢٦/٤، ١٢٧ وأبو داود رقم (٤٦٠٧) والترمذي رقم (٢٦٧٦) وابن ماجه رقم (٤٢ــ٤٤) والدارمي رقم (٩٦) وآخرون من طرق عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ.

قال الترمذي: «حسن صحيح».

وصححه ابن حبان رقم (٥) وقال الحاكم: «حديث صحيح ليس له علة» وأقرّه الذهبي (٩٥/١ــ٩٧) وقال البزار: «حديث ثابت صحيح» وقال ابن عبدالبر: «حديث ثابت» (جامع

وقال عبدالله بن مسعود: «اتّبعوا ولا تبْتدعوا فقَد كُفيتم»(٦١).

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلاماً معناه: «قِف حيثُ وقفَ القوم، فإنّهم عن علمٍ وَقفوا، وببصرٍ ناقدٍ كُفوا، ولهم كانوا على كَشْفِها أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، وإنهم لهم السابقون، فلئن كانَ الهدى ما أنتم عليه لقد سَبقتموهم إليه، ولئن قلتم: حَدَثٌ حَدَثَ بعدهم، فما أحدثه إلاّ من اتّبع غير سبيلهم، ورغبَ بنفسه عنهم، ولقدْ وصَفوا منه مايكفي، وتكلّموا منه بما يشفي، فما دونهم مُقصّر، ولا فوقهم مُحَسِّر، لقد قّصر دونهم أناسٌ فجفَوا، وطمحَ آخرون عنهم فَغَلوا، وإنّهم منْ ذلك لعلى هدىً مستقيم»(٦٢).

وقال الأوزاعي رحمه الله: «عليكَ بآثارِ السلفِ وإنْ رفَضَك الناسُ، وإيّاك وآراء الرجال وإنْ زخرفوه لك بالقول»(٦٣).

بيان العلم ٢/١٨١ ــ ١٨٢) ونقل الزركشي في «المعتبر» ص:٧٨ تصحيحه عن أبي نعيم الحافظ وأبي العباس الدغولي.

قلت: وهو كما قالوا، وهو حديث جليل، لاستقصاء طرقه وألفاظه موضع آخر.

(٦١) أثر صحيح.

أخرجه أحمد في «الزهد» وغيره، خرجته في التعليق على «العقيدة السلفية في كلام ربّ البرية» ص: ٢٢.

(٦٢) أثر صحيح .

أخرجه ابن وضاح في «البدع» ص: ٣٠ــ٣١ وأبو نعيم في «الحلية» ٥/٣٣٨ــ٣٣٩ عنه قريباً من سياق المصنف، وفيه زيادة.

وذكره ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» ١/٧٠ عن الأثرم عن عمر بن عبدالعزيز به، ولم يسنده.

(٦٣) أثر صحيح .

أخرجه الآجري في «الشريعة» ص : ٥٨ والبيهقي في «المدخل» رقم (٢٣٣) وابن عبدالبر في «العلم» ٢/١٤٤ من طريق العباس بن الوليد بن مزيد قال: سمعت أبي يقول: سمعتُ الأوزاعي يقول: عليك بآثار مَن سلَف وإنْ رفضَك الناس، وإيّاك ورأي الرجال وإن زخرفوه بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم.

قلت: سنده صحيح، واللفظ للبيهقي، ولم يذكر الآخران: فإنَّ الأمرَ... إلخ.

وَلَمْ يزل السلفُ الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والأئمة بعدهم، يُعظمون هذا القرآن، ويعتقدون أنه كلامُ الله، ويتقرَّبون إلى الله بقراءته، ويقولون إنه غيرُ مخلوق، ومَنْ قال: إنه مخلوق فهو كافر.

ولمّا وقعتْ الفتنة[٦٤]، وظهرتْ المعتزلة، ودعوا إلى القول بخلقِ القرآن، ثبت أهل الحقّ، حتى قُتل بعضهم، وحبس بعضهم، وضُربَ بعضُم، فمنهم من ضعفَ فأجاب تقيّة، وخوفاً على نفسه[٦٥]، ومنهم من قويَ إيمانُه، وبذلَ نفسه لله، واحتسب ما يُصيبُه في جنب الله، ولم يزَلْ على السنة، إلى أنْ كشفَ الله تعالى تلك الفتنة، وأزال تلك المحنةَ وقمعَ أهل البدعة[٦٦].

---

(٦٤) بين أهل السنة والجهمية المعتزلة في القرآن العظيم.

(٦٥) كما حصل لكثير من العلماء والأئمة، كالإمام يحيى بن معين وغيره، وقصته مع الإمام أحمد في إنكاره عليه الإجابة مشهورة، وكان يحيى ومَن وافقه يَرَوْنَ أنّ لهم رخصة.

(٦٦) وكانَ لإمام السنة، شيخ الإسلام والمسلمين أبي عبدالله أحمد بن حنبل من ذلك الحَظّ الأكبر، والنصيب الأوفر.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنّ الإمام أحمد صارَ مثلاً سائراً، يضرب به المثَل في المحنة والصبر على الحق، وأنّه لم تكن تأخذه في الله لومة لائم، حتى صار اسم الإمام مقروناً باسمه في لسان كلّ أحد، فيُقال: قالَ الإمام أحمد، هذا مذهب الإمام أحمد، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنا [مِنْهُم] أَئِمَّةً يَهْدونَ بِأَمْرِنا لـمَّا صَبَروا وَكانوا بِآياتِنا يوقِنون﴾ [السجدة: ٢٤] فإنه أعطيَ من الصبر واليقين ما يستحقّ به الإمامة في الدّين، وقدْ تداوله ثلاثة خلفاء مسلّطون، مِن شرق الأرض إلى غربها، ومعهم من العلماء المتكلّمين، والقضاة، والوزراء، والسعاة، والأمراء، والولاة، مَن لا يحصيهم إلاّ الله، فبعضهم بالحَبس، وبعضهم بالتهديد الشديد بالقتل وبغيره، وبالترغيب في الرياسة والمال ما شاء الله، وبالضرب، وبعضهم بالتشريد والنفي، وقد خَذَلَه في ذلك عامّة أهل الأرض، حتى أصحابه العلماء، والصالحون والأبرار، وهو معَ ذلك لم يُعْطِهم كلمةً واحدة مِمّا طَلَبوه منه، وما رَجعَ عَمّا جاء به الكتاب والسنة، ولا كَتَمَ العلمَ، ولا استعملَ التقيّة، بل قد أظهَرَ من سنة رسول الله ﷺ وآثاره، ودفعَ من البدع المخالفة لذلك، ما لَمْ يتأتَّ مثلُه لعالِم: مِن نظرائه، وإخوانه، المتقدّمين والمتأخّرين، ولهذا قالَ بعضُ شيوخ الشام: لم يُظْهِر أحدٌ ما جاء به الرسول ﷺ كما أظهره أحمد بن حنبل» (مجموع الفتاوى: ١٢/٤٣٩).

واتّفق أهلُ السنّة على أنّ القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق.

ولمْ يكن القرآن الذي دَعَوا إلى القول بخَلْقِهِ سِوى هذه السّور التي سمّاها الله قرآناً عربياً، وأنزلها على رسوله عليه السلام، ولم يقع الخِلافُ في غيرها البتّة، وعند الأشعري أنّها مخلوقة.

فقوله قول المعتزلة لا محالة، إلاّ أنّه يريدُ التلبيسَ، فيقول في الظاهر قولاً يوافِقُ أهلَ الحقّ، ثمَّ يفسِّره بقول المعتزلة.

فمن ذلك أنّه يقول: القرآنُ مقروءٌ، متلوٌّ، محفوظٌ، مكتوب، مسموعٌ.

ثمَّ يقول: القرآن في نفسِ الباري قائمٌ به، ليس هوَ سوراً ولا آياتٍ، ولا حروفاً ولا كلماتٍ.

فكيف يُتَصَوَّر إذاً قِراءته وسَماعهُ، وكتابته؟.

ويقولون: إن موسى سَمِعَ كلامَ الله من الله، ثمَّ يقولون: ليس بصوتٍ.

ويقولون: إنّ القرآن مكتوبٌ في المصاحف، ثمَّ يقولون: ليس فيها إلاّ الحبرُ والورقُ.

فإنْ كانتْ كما زعموا، فَلِمَ لا يمسُّها إلا المطهَّرون، وما رأينا المحدِثَ يُمْنَع من مسّ حبر ولا ورق؟(٦٧).

قلت: الأصول لا يُدعى فيها إلاّ لما جاء به الرسول ﷺ ، ولمّا كان أحمد بن حنبل حامل الراية في ذلك على المعنى الذي ذكر شيخ الإسلام استحق أن يكون إماماً لأهل الحق الآتين من بعده، ولذا كان حريّاً بالسائرين على أثره أن يجمَعوا صحيح المنقول عنه في الأصول ليكونوا على بصيرة من منهجه، لأنَّ أهل البدع لـمّا علموا استقامة طريقته أخذوا يُبَرِّرونَ ما هم عليه من البدع بانتسابهم إليه، وربّما كذَبوا عليه.

(٦٧) اشتراط الطهارة من الحدَث لمسّ المصحَف مذهَبُ أكثر الفقهاء، وذهبَ آخرون من السلف والخلف إلى جَوازه بغير الطهارة، وهو الأرجح والأقوى دليلاً، والإحتجاج بقوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إلاّ المطهَّرونَ﴾ غير قائم، إذ أنَّ التحقيق أنهم الملائكة، وأنَّ هذا خبر عنهم.

وبسط ذلك في غير هذا الموضع.

ولِمَ تجب الكفّارة على الحالف بالمصحف إذا حنث؟

ومَن قالَ: إنّه ليس في المصحف إلاّ الحبر والورق، لَزِمه التسوية بين المصحف وبينَ ديوان ابن الحجّاج[٦٨]، لأنّه إذا لم يكن بينَ كلّ واحدٍ منهما غير الحبر والورق، فقد تساوَيا، فيجب تساويهما في الحكم.

هذا مع ردِهّم على الله تعالى، وعلى رسوله، وخَرْقهم لإجماع الأمّة، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿فَلا أُقْسِم بِمَواقعِ النجُّوم ● وإنَّه لَقَسَمٌ لوْ تَعْلَمون عَظيمٌ ● إنّه لَقُرْآنٌ كرِيمٌ ● في كِتابٍ مَكنونٍ ● لا يَمَسُّهُ الاّ المُطَهَّرونَ ● تَنْزيلٌ مِنْ رَبِّ العالَمينَ﴾ [الواقعة: ٧٥ــ٨٠] فأقسمَ الله عزّ وجلَّ أنّه قرآن كريم في كتاب مكنون، فردّوا عليه، وقالوا: ما في الكتاب إلاّ الحبر والورق.

وقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرآنٌ مجيدٌ ● في لَوْحٍ مَحْفوظٍ﴾ [البروج: ٢١ــ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿وَالطّورِ ● وَكِتابٍ مَسْطورٍ ● في رَقٍ مَنشْورٍ﴾ [الطور: ١ــ٣].

وقال ﷺ: «لا تُسافِروا بالقرآنِ إلى أرضِ العدوِ، مخافةَ أنْ تنالَه أيدِيهم»[٦٩].

لكن مع ما ذكرناه من المذهب الراجح إلاّ أن إيراد المصنف هذه المسألة على المخالف وارد عليه ولازم له، لأنّ هذا المخالف يسلّم لمذهب المنع فلذا يَرد عليه ويلزمه.

(٦٨) هو أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج، شاعر مشهور ذو مجون وخلاعة.

(٦٩) حديث صحيح.

أخرجه مالك٢/٤٤٦ والشافعي رقم (١١٤٩، ١١٥٠) وأحمد رقم (٤٥٠٧، ٤٥٢٥، ٤٥٧٦، ٥١٧٠، ٥٢٩٣) والبخاري ١٣٣/٦ ومسلم رقم (١٨٦٩) وأبو داود رقم (٢٦١٠) والنسائي في «فضائل القرآن» ــ من الكبرى ــ رقم (٨٥) وابن ماجه رقم (٢٨٧٩، ٢٨٨٠) من طرق عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً.

وتابع نافعاً عليه: عبدالله بن دينار، أخرجه أحمد رقم (٦١٢٤) وابن أبي داود في «المصاحف» ص:١٨٣ بسند صحيح عنه.

وكذا تابعه سالم عن أبيه، أخرجه ابن أبي داود ص: ١٧٩ ــ ١٨٠ بسند صالح في المتابعات.

وقد أفردت الكلام عليه إسناداً ومتناً في جزء.

يريد: المصاحف التي فيها القرآن.

واتّفق المسلمون كلُّهم على تعظيم المصحف وتبجيله، وتحريم مَسّه على المحدث[(٧٠)]، وأنّ مَن حلف به، فحنثَ، فعليه الكفّارة، ولا تجبُ الكفّارة بالحلفِ بمخلوق[(٧١)].

وذكَرَ بعض المبتدعة أنّه إنّما وجبت الكفّارة على الحالف، لاعتقاد العامّة أنّ فيه كلام الله.

وهذه غفلة منه، فإنَّ هذا الحكم من لَدُن النبي ﷺ، لمْ يتجدَّد الآن[(٧٢)].

فإنْ أقرَّ أنَّ عامّة أهل عصر النبي ﷺ وصحابته كانوا يعتقدون أنَّ فيه كلام الله تعالى، وأقرَّهم عليه النبي ﷺ وصوَّبهم فيه، فهو الحقّ الذي لا شكَّ فيه ولا يَحِلُّ خلافه.

وإنْ قال: إنهم كانوا يعتقدون ذلك، ولم يعلم بهم النبي ﷺ، فكيف عَلِمَ هو؟ وكيفَ عَلِمَ هو من أحوال أصحاب رسول الله ﷺ، ومن اعتقاداتهم [ما][(٧٣)] يخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهرهم، وعنه يأخذون، وإليه يرجعون، وبه يقتدون، وعنه يصدرون؟

ثمَّ هَلْ كانوا مصيبين في اعتقادهم، أو مخطئين؟

فإنْ كانوا مخطئين، فقد اعتقد أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ضلاّلاً، ومَن بعدهم، وأنّه هو أصابَ بمخالفتهم.

---

(٧٠) كلاّ، لم يتفق المسلمون على تحريم مسّ المصحف، كما سبق قريباً في التعليق رقم (٦٧).

(٧١) قال المصنف في «المغني» ٦٩٥/٨: «وإن حلف بالمصحف انعقدت يمينه، وكان قتادة يحلف بالمصحف، ولم يكره ذلك إمامنا ـــ يعني أحمد ـــ وإسحاق، لأن الحالف بالمصحف إنما قصد الحلف بالمكتوب فيه وهو القرآن، فإنه بينَ دفتي المصحف بإجماع المسلمين».

(٧٢) يعني كون القرآن كلام الله بين دفتي المصحف.

(٧٣) في الأصل : مَن .

وكيف يجوز أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ اتّفقوا على اعتقاد الخطأ والضلال والباطل، وأخطأوا الحقَّ، وتبعهم منْ بعدهم على ذلك، إلى أن جاء هذا الجاهل — بزعمه — فعرفَ الصواب، وعرف خطأ من كان قبله؟

ثمَّ هذا إقرار بأنَّ مقالته بدعة حادثة، خالفَ بها أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعين بعدَهم، وهو الذي يقوله عنهم، وبدعته فيهم[٧٤].

وإن زعم أنَّ أهل عصر النبي ﷺ لم يكونوا يعتقدون هذا وإنّما حدَثَ بعدهم، فَلِمَ يُثبتُ هذا الحكم في عصرهم؟

ولِمَ وجبَت الكفارة على الحالف بالورق والحبر؟

ولا خلافَ بين المسلمين أنّه لا تجبُ كفّارةٌ بالحلف بورق ولا حبر، ولا مخلوق.

ثمَّ متى حدَثَ هذا الاعتقاد؟ وفي أيّ عصر؟

وما عَلِمنا الحادث إلاّ قولهم الخبيث المخالف للأمّة وللكتاب والسنة.

ثمَّ كيف يحلُّ أنْ يوهِموا العامّة ما يَقوىٰ به اعتقادهم الذي يزعمون أنّه بدعة، مِن تعظيمهم للمصاحف في الظاهر، واحترامِها عند الناس، وربّما قاموا عند مَجيئِها، وقبّلوها[٧٥] ووضعوها على رؤوسهم، ليوهموا الناس أنّهم يَعتقدون فيها القرآن.

وربّما أمَروا من توجَّبت عليه يمين في الحكم بالحلف بالمصحف، إيهاماً له أنَّ الذي يحلف به هو القرآن العظيم، والكتاب الكريم.

وهذا عندهم اعتقاد باطل، فكيف يحلُّ لهم أن يتظاهروا به ويُضمِرون[٧٦] خلافَه؟

وهذا هو النفاق في عهد رسول الله ﷺ، وهو الزندقة اليوم، وهو: أن يُظهِرَ موافقةَ المسلمين في اعتقادهم، ويُضمِرَ خلاف ذلك.

وهذا حالُ هؤلاء القوم لا محالة، فهم زنادقة بغير شكّ، فإنّه لا شكَّ في أنَّهم

---

(٧٤) هكذا سياق النصّ في الأصل، وهو مختلّ فيما أرى.

(٧٥) في الأصل : وقبولها.

(٧٦) كذا في الأصل، وهي صواب بتقدير: وهم يضمرون.

يُظهِرون تعظيمَ المصاحف إيهاماً أنَّ فيها القرآن، ويعتقدون في الباطن أنّه ليس فيها إلاّ الورق والمداد، ويُظهرون تعظيمَ القرآن، ويجتمعون لقراءته في المحافلِ والأعْرِية[٧٧]، ويعتقدون أنّه من تأليف جبريل وعبارته، ويُظهرون أنَّ موسى سمعَ كلامَ الله من الله، ثم يقولون: ليس بصوت، ويقولون في أذانهم وصلواتهم أشهد أنَّ محمّداً رسول الله، ويعتقدون أنّه انقطعت رسالَتُه ونبوَّته بموتِه، وأنَّه لمْ يبقَ رسولَ الله، وإنّما كانَ رسول الله في حياتِه.

وحقيقة مذهبهم: أنّه ليسَ في السماء إله[٧٨]، ولا في الأرض قرآن[٧٩]، ولا أن محمّداً رسولُ الله[٨٠].

وليس في أهل البِدَع كلّهم منْ يتظاهَر بخلاف ما يَعتقِدُه غيرهم، وغير منْ أشْبَهَهم مِنَ الزنادقة.

ومِنَ العجب أنَّ إمامَهم الذي أنْشأ هذه البدعة رجلٌ لمْ يُعْرَف بدينٍ ولا ورعٍ، ولا شيءٍ من علوم الشريعة البتّة، ولا يُنسَبُ إليه من العلم إلاّ علم الكلام المذموم، وهم يعترفون بأنّه أقامَ على الاعتزال أربعين عاماً، ثُمَّ أظهرَ الرجوع عنه، فلم يظهر

---

(٧٧) الأعرية: جمع عَراء، والأصل فيه الموضع الخالي.

(٧٨) والله تعالى عندهم في كل مكان على تفسير لهم ليس هذا محلّه، وإثبات أنه تعالى في السماء مستوٍ على عرشه، وأن له الفوقية والعلو، مِمّا يستحيل على الله بزعمهم، وهذا اعتقاد عامة المتأخرين من الأشعرية تبعاً للجهمية.

أمّا متقدّموهم فجمهورهم على إثبات العلو والفوقيّة لله تعالى، كما نطق به الكتاب والسنة وجرى عليه سلف الأمّة.

(٧٩) أي كلام الله غير المخلوق، لأنَّ هذا عندهم لم ينزل، والنازل إنّما هو الدَلالة عليه، كما سبق بيانه.

(٨٠) اعتقاد انقطاع رسالة النبي ﷺ بموته مِمّا نُسِبَ إلى أبي الحسن الأشعري وبعض أتباعه ــ كأبي بكر بن فورَك ــ لكن بعض محقّقي أتباع الأشعري ــ كأبي القاسم القشيري وغيره ــ يكذّبونَ ذلك عنه، ويعدّونه من الافتراء عليه، فالله أعلم.

منه بعد التوبة سوى هذه البدعة[٨١].

فكيف تُصُوِّرَ في عقولهم أنَّ الله لا يوفّق لمعرفة الحقّ إلاّ عدوَّه، ولا يجعلُ الهدى إلاّ معَ مَن ليسَ له في علم الإسلام نصيبٌ، ولا في الدين حظٌّ.

ثمَّ إنَّ هذه البدعة معَ ظهور فَسادها، وزيادة قبحها، قد انتشرت انتشاراً كثيراً، وظهَرت ظهوراً عظيماً، وأظنّها آخر البِدع وأخبثَها، وعليها تقوم الساعة[٨٢]، وأنّها لا تزداد إلاّ كثرةً وانتشاراً.

---

(٨١) يريدُ أبا الحسن عليّ بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، الذي يُنْسَب إليه «الأشعرية» وكان صاحب كلام، ذكيّاً فَطِناً، لكن ضرَّ بِهِ تربّيه في أحضان المعتزلة، فلم ينتفع بذكائه وفطنته، ثم لمّا تاب ورجع عن طريقتهم واعتقادهم لم يتوجّه لتلقّي السنن والآثار، وإنّما تلقّى طريقة ابن كلاّب ــ وكان صاحب بدعة خلطها ببعض السنة ــ وأخذَ يناظر المعتزلة ويردّ عليهم بالطرق الكلامية، وربما التزمَ الكثير من أصولهم.

والمصنف ابن قدامة رحمه الله كانَ غليظاً جدّاً على الأشعرية ــ كما يظهر لك من هذا الكتاب ــ وقد شدّد القولَ في الأشعري ــ كما تراه ــ وحال التحقيق يظهر للمنصف صحّة قول ابن قدامة، إلاّ قولَه الآتي فإنّ فيه تحاملاً شديداً، والأشعري بَعد توبته أرادَ نصرة دين الإسلام لكنه لم يوفق للطريق الصحيح في ذلك، وحسب أن علمَه بالكلام يغنيه، لكنه من حيث الجملة وافق أهل السنة في أكثر مسائل الأصول، وطريقته أسلم من طريقة مَن جاء بعده من أتباعه، أقول هذا مع أني أرى أنه رأس في البدعة، إذ لا يعني موافقته لأهل السنة في بعض طريقتهم أنْ يعدّ منهم ، كما يتوهّمه بعض من لا تحقيق عنده من أصحابنا، ويغترون بكتابه «الإبانة» ويقولون: إنّ اعتقاده فيه اعتقاد أهل السنة، وهذا تلبيس بيّنته في التعليق على كتابي «العقيدة السلفية في كلام ربّ البرية» ص: ٢٦٨.

(٨٢) عِلمُ ذلك عند الله، وأبواب البدع كثيرة نسأل الله السلامة، أمّا كون بدعة الأشعرية لا تزداد إلاّ انتشاراً فيصدّقه التاريخ والواقع، فهي بعد عصر المؤلّف زاد أتباعها وكثروا، وما زالوا كذلك إلى يومنا، فتوحيد الأشعري هو الذي يدرّسه الشيوخ ويتعلمه الطلبة، فالله المستعان.

فإنَّ نبيَّنا ﷺ أخبرنا أنّ في آخر الزمان تكثر البِدَعُ، وتموتُ السُّنَنُ[٨٣]، ويغربُ الدّينُ[٨٤]، وأنَّ الدنيا لا تزدادُ إلاَّ إدباراً[٨٥]، وأنّه يصيرُ المعروفُ منكراً، والمنكرُ معروفاً[٨٦]، وأنّه يقلُّ أهلُ الحقّ، إلاّ أنّهم مَعَ قِلّتهمْ لا يضرّهمْ مَنْ خذلهم حتى يأتي

---

(٨٣) وممّا ورد في ذلك ما أخرجه ابن ماجه رقم (٢٨٦٥) من حديث عبدالله بن مسعود أنّ النبيّ ﷺ قال: «سَيَلي أمورَكم بَعدي رجالٌ، يطفئون السنة، ويَعملون بالبدعة، ويؤخرون الصَّلاةَ عن مواقيتها» فقلت: يا رسول الله، إن أدركتُهم كيفَ أفعل؟ قال: «تسألني يا ابن أمّ عبد كيفَ تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله». قلت: إسناده جيد، ورواه أحمد وابنه رقم (٣٧٩٠) بنحوه.

وظاهره في الأمراء، وهو أبلغ في الدلالة على شيوع البدع وانتشارها، وموت السنن واندثارها، لِما يعضّد ذلك من قوة السلطان.

(٨٤) كما في حديث: «بدأ الدين غريباً...» الآتي قريباً.

(٨٥) لم أقف على خبر يثبت يتضمن هذا السياق، ولكن تضمّن معناه ما أخرجه أحمد ١٣٢/٣، ١٧٧، ١٧٩ والبخاري ١٩/١٣ـــ٢٠ والترمذي رقم (٢٢٠٦) من طرق عن سفيان الثوري عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه من الحجّاج ، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلاّ والذي بعده أشرّ منه حتى تلقوا ربّكم، سمعته من نبيّكم ﷺ. هذا لفظ البخاري، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٨٦) لم أقف على خبر يثبت يتضمن هذا السياق، لكن أشار إلى معناه قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: كيف أنتم إذا لَبِسَتْكم فتنةٌ، يَهرَم فيه الكبير، ويَربو فيها الصغير، ويَتَّخِذُها الناسُ سُنّة، فإذا غيّرت قالوا غيّرت السنة؟ قالوا: ومتى ذاك يا أبا عبدالرحمن؟ قال: إذا كَثُرَتْ قرّاؤكم، وقلّت فقهاؤكم، وكثرتْ أمراؤكم، وقلّتْ أمناؤكم، والتُمِسَتْ الدنيا بعمَلِ الآخرة. أخرجه الدارمي رقم (١٩١) والحاكم ٥١٤/٤ ـــ ٥١٥ والبيهقي في «المدخل» رقم (٨٥٨) من طريق يعلى بن عبيد ثنا الأعمش عن شقيق قالَ: قالَ عبدالله... فذكره.

قلت: وإسناده صحيح عى شرط الشيخين، وبه قال الذهبي في «تلخيص المستدرك».

ورواه الدارمي أيضاً رقم (١٩٢) وابن وضاح في «البدع» ص:٨٩ وابن الطبري رقم (١٢٣) من طرق عن يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله به، وزاد: وتُفُقِّهَ لغير الدين. وإسناده حسن في المتابعات.

أمرُ الله[87]، وأنَّه يعظُمُ ثوابُهم، ويكثُرُ أجرهم[88].

وشبَّه النبيُّ ﷺ الدينَ في آخره بأوّل ابتدائه في غُربَتِهِ وقِلّة أهله، فقالَ عليه السلام: «بَدَأَ الدّينُ غريباً، وسيعودُ كما بَدَأ» ثمَّ جمَع بينهم في أنَّ لهم طوبى، فقال: «فطوبى للغُربَاءِ»[89].

ثمَّ فضَّلَ المتأخّرين في بعض الأخبار، فقالَ في حديث: «يأتي على النّاس زَمان يكونُ للقائمين بالكتاب والسنة مثلُ أجرِ خَمسين شَهيداً» قالوا: يا رسول الله، مِنّا أو منهم؟ قال: «منكم»[90].

---

(٨٧) كما أخرج الإمام أحمد ٥/٢٧٨، ٢٧٩ ومسلم رقم (١٩٢٠) والترمذي رقم (٢٢٢٩) وابن ماجه رقم (١٠) من طريق أبي قلابة عن أبي أسماء (هو الرحبي) عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزالُ طائِفَةٌ مِنْ أمّتي ظاهرين على الحَقِّ، لا يَضرُّهم مَنْ خَذَلَهُمْ، حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك».

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

وهو حديث متواتر، جاءَ عن رسول الله ﷺ من رواية جمع من أصحابه، في «الصحيحين» وغيرهما، تخريجها في غير هذا الموضع.

والحديث من أعظم البشارة لأهل الإتباع الذين نهجوا نهج السلف في الأصول والفروع، ولم يعرفوا الأهواء والبدع، وقد فسَّر غير واحد من الأئمة أنَّ الطائفة المنصورة المقصودة بالحديث هم أهل الحديث، وهذا هو المتحقق ــ إن شاء الله ــ لمن أمعن النظر فيه، وعرفَ لأهل السنة والأثر قدرهم، فإنّهم حماة الشريعة، ورافعوا لوائها.

(٨٨) كما سيأتي في الحديث قريباً.

(٨٩) حديث صحيح.

أخرجه مسلم وغيره.

وهو مروي عن جمع كبير من الصحابة، جمعتُ أحاديثهم وتكلمت عليها في جزء مفرد.

(٩٠) حديث حسن المعنى ، فإن المصنف ذكره بمعناه. أخرجه ابن نصر في « السنة » ص : ٩ والطبراني في « الكبير » ١٧/١١٧ من طريق عبدالله بن يوسف حدثنا خالد بن يزيد بن صبيح عن إبراهيم بن أبي عبلة عن عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة ــ وكان من الصحابة ــ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك =

وهذا فضلٌ عظيمٌ، وذلك ــ والله أعلم ــ لعظم نفعهم، وصعوبة الأمر عليهم،

== فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «بل منكم».
قلت: وإسناده جيد، لكنه منقطع، إبراهيم بن أبي عبلة لم يدرك عتبة، وقد ذكروا أنّه لم يدرك عبادة بن الصامت، ومات عبادة بعد عتبة بمدة، وعتبة قديم الموت، فأولى أن لا يدركه.
لكن للحديث شاهدان.
الأول: عن أبي أمية الشعباني قال: سألتُ أبا ثعلبة الخشني، فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟ قال: أما والله لقد سألتَ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله ﷺ، فقال: «بَلْ ائتمروا بالمعروف، وتَناهوا عن المنكر: حتى إذا رأيتَ شحّاً مطاعاً، وهوىً مُتّبعاً ، ودنيا مؤْثَرة، وإعجابَ كلّ ذي رأي برأيِهِ، فعليكَ ــ يعني بنفسك ــ ودع عنكَ العوام، فإنَّ مِن ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعمَلون مثلَ عمله».
[قال عبدالله بن المبارك] : وزادني غيره (يعني غير عتبة) قال: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم».
أخرجه أبو داود رقم(٤٣٤١)والترمذي رقم (٣٠٥٨) وابن ماجه رقم (٤٠١٤) وابن جرير ٩٧/٧ وابن أبي عاصم في «الزهد» رقم (٢٦٦) وابن نصر في «السنة» ص:٩ وابن وضاح في «البدع» ص: ٧١، ٧٦ وابن حبان رقم (١٨٥٠) والحاكم ٣٢٢/٤ من طريق عتبة بن أبي حكيم قال: حدثني عمرو بن جارية اللخميّ حدثني أبو أميّة الشعباني، قال: فذكره.
قلت: وهذا إسناد صالح في الشواهد، يعتبر به، عتبة بن أبي حكيم صدوق، في بعض حديثه نكارة، وعمرو بن جارية مجهول الحال، وقد قال الترمذي: «حديث حسن غريب» وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي.
وقع عند ابن ماجه: «عتبة بن أبي حكيم حدثني عمّي عن عمرو بن جويرية» كذا، وهو خطأ، لعلّه من الطابع، أو الناسخ، فإنّ عمّ عتبة هو عمرو، وكذلك الإسناد على الصواب في «تحفة الأشراف» ١٣٧/٩.
والثاني: عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إنَّ من ورائكم زمانَ صبرٍ، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً» فقال عمر: يا رسول الله، مِنّا أو منهم؟ قال: «منكم».
رواه البزار رقم (٣٣٧٠) والطبراني في «الكبير» ٢٢٥/١٠ من طريق أحمد بن عثمان بن ==

وكثرة أعدائهم، وتألّبهم عليهم[٩١]، وقلّة أنصارهم، وقد جاء في خبر «يأتي على الناسِ زمانٌ، يكونُ المتمسِّك بدِينهِ كالقابِضِ على الجَمْرِ»[٩٢]. فهذه الصعوبة هي الموجبة لذلك الأجر.

حكيم ثنا سهل بن عامر البجلي ثنا عبدالله بن نمير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبدالله به.

قلت: وهذا سند ضعيف، من أجل سهل بن عامر البجلي، فإنه ضعيف منكر الحديث، واتّهمه أبو حاتم ، وذبّ عنه ابن عدي، ووثقه ابن حبان.

وقد وقع عند الطبراني: «سهل بن عثمان البجلي» وليس في الرواة من هذه الطبقة مَن يسمّى بهذا الاسم سوى «سهل بن عثمان بن فارس الكندي أبي مسعود العسكري الرازي» وهو ثقة من رجالِ مسلم، وليس هو الذي في إسناد الطبراني، فإنّ ذاك بجليّ، فلذا فإنَّ قوله «عثمان» تحريف عن «عامر» يؤكّد ذلك رواية البزار، وقول الهيثمي في «المجمع» ٢٨٢/٧: «رواه البزار والطبراني بنحوه... ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي، وثقه ابن حبان».

وقد صحّح الإسنادَ الألبانيُّ ظنّاً منه أنه ابن عثمان الكندي، لأنّه لم يقف فيما يبدو على إسناد البزار.

فالحديث حسن بشاهديه فيما أرى.

وله شاهد ثالث عن ابن عمر بنحوه، أخرجه ابن وضاح ص:٧٠ وإسناده ضعيف جداً، فيه عديّ بن الفضل التيمي ضعيف جداً، متروك.

وشاهد رابع عن سعيد أخي الحسن البصري مرسلاً بمعناه، عند ابن وضاح ص: ٧٠ وإسناده ضعيف.

(٩١) في الأصل : عليه.

(٩٢) حديث صحيح.

وهو مرويّ من طرق عن النبي ﷺ :

الأولى : عن أنس بن مالك قال: قالَ رسول الله ﷺ : «يأْتي على الناسِ زَمانٌ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجَمْر».

أخرجه الترمذي رقم (٢٢٦٠) وابن عدي في «الكامل» ١٧١١/٥ من طريق إسماعيل بن موسى الفزاري حدثنا عمر بن شاكر عن أنس به.

ثَبَّتنا الله على الإسلام[٩٣] والسُّنةِ، وأحيانا عليها، وأماتنا عليها، وحشرنا عليها.
ومنَ العجَب [أنَّ[٩٤]] أهلَ البدع يستدلّون على كونهم أهل الحقّ بكثرتهم وكثرة

= قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، وعمر بن شاكر شيخ بصري، قد روى عنه غيرُ واحد من أهل العلم».
قلت: هو ضعيف الحديث، ضعّفه أبو حاتم وابن عدي، وقال البخاري: «مقارب الحديث» ووثّقه ابن حبان.
فالإسناد ضعيف، لكن يعتبر به.
والثانية : عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «ويلٌ للعرب مِنْ شرّ قد اقترب، فِتَناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، يبيع قومٌ دينهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسِّكُ يومئذ بدينِهِ كالقابض على الجَمر ــ أو قال: على الشوك ــ (وفي طريق: خبط الشوك)».
أخرجه أحمد ٢/٣٩٠، ٣٩١ من طريقين عن ابن لهيعة ثنا أبو يونس عن أبي هريرة به.
قلت : وهذا إسناد حسن، فإنَّ ابن لهيعة إذا روى عنه متثبّت ، خاصة إذا كانَ من قدماء أصحابه الثقات، فإنه حسن الحديث على أقلّ أحواله حينئذ، وقد روى عنه هذا الحديث يحيى بن إسحاق السيلحيني، وهو كما قال ابن حجر في «التهذيب» ٢/٤٢٠: «من قدماء أصحابه» وحسن بن موسى وهو من ثقات الآخذين عنه.
واسم أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة، وهو ثقة.
والثالثة: عن أبي ثعلبة الخشني به في حديث، وسبق قريباً قبل تعليق.
والرابعة : عن ابن مسعود، وهو المذكور أيضاً قبل تعليق، لكن بلفظ البزار، وهو قوله: «إنَّ مِن ورائكم أيام الصبر، والصبر فيهن كقبض على الجمر، للعامل فيهنّ أجر خمسين...» الحديث.
والخامسة : عن القاسم أبي عبدالرحمن أنَّ رسول الله ﷺ قال: «سينقض الإسلام، المتمسِّك يومئذ بدينه كالقابض على الجَمر، أو خبط الشوك».
رواه ابن وضاح في «البدع» ص : ٧٠ وإسناده مرسَل ضعيف.
فالحديث صحيح لغيره بهذه الطرق.
(٩٣) في الأصل : السلام.
(٩٤) ساقطة من الأصل، ويقتضيها السياق.

أموالهم وجاههم، وظهورهم، ويستدلّون على بُطلان السنّة بقلّة أهلِها وغربتهم وضعفهم، فيجعلونَ ما جعله النبي ﷺ دليلَ الحقّ، وعلامة السنّةِ، دليلاً على الباطل، فإن النبيَّ ﷺ أخبَرنا بقلّةِ أهل الحقّ في آخر الزمان وغربَتِهم، وظهورِ أهل البدع وكثرتهم، ولكنهم سلكوا سبيلَ الأمم في استدلالهم على أنبيائهم وأصحاب أنبيائهم، بكثرة أموالهم وأولادِهم، وضعف أهل الحقّ.

فقال قومُ نوح له: ﴿ما نَراكَ إلاّ بَشَراً مِثْلَنا ومَا نراكَ اتَّبعَكَ الاّ الّذين هُمْ أراذِلُنا باديَ الرّأي ومَا نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنّكُمْ كاذبينَ﴾ [هود: ٢٧].

وقالَ قومُ صالح فيما أخبرَ الله عنهم بقوله: ﴿قالَ المَلأُ الّذينَ اسْتكْبَروا مِنْ قَوْمِهِ لِلّذينَ اسْتُضْعِفوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ: أتَعْلَمونَ أنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبّهِ؟ قالوا إنّا بِما أُرسِلَ بِهِ مُؤْمِنونَ● قالَ الذينَ اسْتكْبَروا: إنّا بالّذي آمَنْتُم بهِ كافِرونَ﴾ [الأعراف: ٧٥ـ٧٦].

وقال قومُ نبيّنا ﷺ: ﴿وقالوا نَحنُ أكْثَرُ أَموالاً وأوْلاداً ومَا نحْنُ بمُعَذَّبينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وكذلكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ليقولوا أهؤُلاءِ مَنَّ الله عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا﴾ [الأنعام: ٥٣].

﴿وَقالَ الّذينَ كَفَروا للَّذينَ آمَنوا لَوْ كانَ خَيْراً ما سَبَقونا إلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

ونسوا قولَ الله تعالى: ﴿وَفَرِحوا بِالحَياةِ الدُّنْيا ومَا الحَياةُ الدُّنيا في الآخِرَةِ إلاّ مَتاع﴾ [الرعد: ٢٦].

وقوله سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسكَ مَعَ الّذينَ يَدْعونَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ وَالعَشِيّ يُريدونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُريدُ زينةَ الحَياةِ الدُّنْيا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله سبحانه: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَينِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ﴾ الآيات كلها [الكهف: ٣٢ ـ ٠٠٠].

وقولَه: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْواجاً مِنهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلا أنْ يَكونَ النّاسُ أمَّةً واحِدةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لبُيوتِهِمْ

سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ﴾ إلى قوله: ﴿وإنْ كُلُّ ذلِكَ لَمّا مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا والآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ للمُتّقينَ﴾ [الزخرف: ٣٣ ــ ٣٥].

وقد كانَ قيصر ملك الروم ــ وهو كافر ــ أهدى منهم، فإنّه حينَ بلَغَه كتابُ النبي ﷺ، سأل عنه أبا سفيان، فقال يتبعه ضعفاء الناس أو أقوياؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم.

فكانَ هذا مِمّا استدلَّ بِهِ على أنّه رسولُ الله ﷺ، فقال: إنهّم أتباع الرسل في كل عصر وزمان(٩٥).

وفي الآثار: أنَّ موسى عليه السلام لَمّا كَلَّمه ربُّه تعالى، قال له: يا موسى، لا يَغُرَّنّكما(٩٦) زينة فرعون، ولا ما مُتِّعَ به، فإنّني لو شئتُ أنْ أُزيّنكُما بزينةٍ يعلَم فِرعونُ أنَّ مقدرته تعجز عنْ أقلّ ما أوتيتُما لفَعلتُ، ولكنّني أَضَنُّ بكما عن ذلك، وأزويه عنكما، وكذلكَ أفعلُ بأوليائي وقديماً ما خِرتُ لهم، إنّي لأذودُهم عن الدنيا كما يَذود الراعي الشفيقُ إبله عن مَبارِكِ الغِرَّة، وإنّي لأجنّبهم سلوتَها ونعيمَها كما يجنّبُ الراعي الشفيق غَنَمَه عن مراتع الهلكة، وما ذلك لهوانِهم عليّ، ولكن ليستكمِلوا نصيبَهم من الآخرة سالِماً موفّراً، لم تَكْلِمْه الدنيا، ولم يُطغه الهوى(٩٧).

وقد رُوِيَ عن عمرَ رضي الله عنه أنّه دَخَلَ على النبي صلى الله عليه وسلم بِمشْرُبةٍ(٩٨) له، فَرفع رأسه في البيتِ(٩٩)، فلم يرَ فيه الاّ أَهَبَةً(١٠٠) ثلاثة، والنبيُّ ﷺ

---

(٩٥) هذا جزء من حديث هرقل الطويل من حديث أبي سفيان صخر بن حرب، وهو في «الصحيحين» وغيرهما، وقد ذكره المصنف هنا بالمعنى.

(٩٦) الخطاب لموسى وأخيه هارون.

(٩٧) ذكره قريباً منه الإمام أحمد في «كتاب الزهد» ص: ٦٤ ــ ٦٥ في ضمن أثر طويل من حديث وهب بن منبّه عن أهل الكتاب.
وإسناده صحيح إلى وهب.

(٩٨) المشربة : الغرفة.

(٩٩) في الأصل: البيب، والتصحيح من «المسند».

(١٠٠) أَهَبَة: بمعنى الأهب، والهاء فيه للمبالغة، جمع إهاب على غير قياس، وهو الجلد غير المدبوغ (عن «فتح الباري» ٩/٢٨٨).

مُتكيءٌ على رُمال حصير[١٠١] ما بينه وبينَه شيء ، قد أثّر في جنبه: فقلت: يا رسول الله، وأنتَ على هذه الحال، وفارس والرّوم وهم لا يعبدون الله لهم الدنيا! فجلسَ النبيُّ ﷺ محمَرّاً وجهُه، ثم قال: «أَفي شكٍ أنتَ يا ابن الخطّاب؟ أَما تَرْضى أنْ تكون لهم الدنيا ولَنا الآخرة».

هذا معنى الخبر[١٠٢].

ثَبّتَنا الله وإيّاكم على الإسلام والسّنةِ، وجَنَّبنا الكفرَ والبدعةَ، وحبَّبَ إلينا الإيمانَ

---

(١٠١) هو ما رُمِلَ أي نسج.

(١٠٢) حديث صحيح.

وقد أخرجه أحمد رقم (٢٢٢) والبخاري ١١٤/٥ ـ ١١٦ و٢٧٨/٩ ـ ٢٧٩ ومسلم ١١١١/٢ ـ ١١١٢ والترمذي رقم (٢٤٦١، ٣٣١٨) من طرق عن الزهري عن عبيدالله ابن عبدالله بن أبي ثور عن ابن عباس عن عمر بن الخطّاب في قصّة اعتزال النبي ﷺ نساءه، لكن قال فيه: «أفي شكٍّ أنتَ يا ابن الخطّاب؟ أولئك قومٌ عجّلت لهم طيّباتهم في الحياة الدنيا».

ورواه مسلم ، وابن ماجه رقم (٤١٥٣) من طريق سماك أبي زميل حدثني عبدالله بن عباس حدثني عمر بن الخطّاب، بالقصة، وقال فيه: «يا ابن الخطّاب، ألا ترضى أنْ تكونَ لنا الآخرة ولهم الدنيا؟».

ورواه البخاري ٦٥٧/٨ ـ ٦٥٨ ومسلم أيضاً من طريق عبيد بن حنين أنّه سمع عبدالله ابن عباس يحدث، فذكر القصة عن عمر، وقالَ نحو رواية أبي زميل.

فكأن ما ذكره المصنف معنى ملفق من هذه الروايات، سوى لفظة «محمراً وجهه» فإني لم أقف عليها في القصة، لكن وقع عند مسلم في رواية عبيد بن حنين: قال عمر: ودخلتُ عليه حين دخلتُ وأنا أرى في وجهه الغضب.

قلت: وهذا الغضب لم يكن بسبب قول عمر المذكور، وإنّما هو لما كانَ من أمر نسائه، والله أعلم.

وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من وجوه عِدّة مجتمعاً ومفرَّقاً، وإنما خرجت منه موضع الشاهد.

وروي نحو هذه القصة من غير وجه عن عمر.

وزيَّنه في قلوبنا، وكَرَّهَ إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ، وجعلنا من الراشدين.

وقد أنشدَ أبو الحسن عليُّ بن أبي بكرٍ الطِّرازي[١٠٣] فيهم:

دَعوني مِنْ حَديثِ بَني اللُّتَيّا ... وَمِنْ قَومٍ بِضاعَتُهم كَلامُ

تفاريقُ العَصا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ... إذا ذكروا وليسَ لهم إمامُ

إذا سُئلوا عن الجبّار مالوا ... إلى التّعْطيلِ، وافْتَضَح اللِّئامُ

وإنْ سُئِلوا عن القرآنِ قالوا ... يقول[١٠٤] بخلقه بشرٌ كرامُ

كلامُ الله ليسَ لَه حروفٌ ... ولا في قوله أَلفٌ ولامُ

ولَوْ قيلَ: النبوةُ كيفَ صارَتْ ... لقالوا: تلكَ طارَ بها الحَمامُ

إذا قُبِضَ النبيُّ فكيف تبقى ... نبوّتُه؟ فديتكَ والسلامُ

فهذا دينهُم فاعلم يَقيناً ... وليسَ على مُهجّنهم[١٠٥] مَلامُ

لهمْ زَجَلٌ وتوحيدٌ جديدٌ ... أبى الإسلام ذلكَ والأَنامُ

وزَمْزَمةٌ[١٠٦] وهينَمة وطَيش ... كأنّهم دَجاجٌ أو حَمامُ

وإزراءٌ بأهلِ الحقّ ظُلماً ... وتلقيبٌ وتشنيعٌ مُدامُ

---

(١٠٣) هو الشيخ الأديب أبو الحسن عليّ بن محمد بن محمد بن أحمد الطِّرازي الحنبلي، مسند خراسان.

روى عن الأصمّ وأبي حامد بن حسنويه وغيرهما، وعنه الخطيب البغدادي وغيره، مات سنة (٤٢٢).

ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ١٧/٤٠٩.

وهذه الأبيات الآتية رواها عنه الحافظ أبو القاسم ابن منده في «الرد على من يقول (الم) حرف» رقم (٣٦).

(١٠٤) في الأصل : بقول يخلقه، والصواب ما أثبته كما في كتاب ابن منده.

(١٠٥) أي الّذي يذكر عيوبهم.

(١٠٦) الزمزمة: الصوت الخفي الذي لا يكاد يُفْهم، والهينمة نحوها.

وقــولُ الملحديــنَ وإن تعَــاوَوْا عُـواءَ البَيْـنِ[١٠٧] لـيسَ لـه نِظَـامُ
فَصَبراً يـا بنـي الأحـرار صَبْـراً فـإنَّ الظلــمَ لــيسَ لــه دوامُ
وأن الحــقَّ أبلــجُ لا يُضامُ[١٠٨] وقــولُ الــزّورِ آخـرهُ غَــرامُ[١٠٩]

آخره.
والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله، وسلَّمَ تسْليماً.

---

(١٠٧) تعاوَوا: تداعَوا، والبَيْن، كذا جاءت في الأصل، وفي كتاب ابن منده: الذئب، وهو الصواب فيما أرى.
(١٠٨) أبلج : مشرق مضيء، لا يُضام: أرادَ لا يحجبُ طالبيه شيءٌ لإشراقه ووضوحه.
(١٠٩) غرام: هلاك.

الفهارس

أ ـ فهرس أطراف الأحاديث والآثار

ب ـ فهرس الجرح والتعديل

جـ ـ فهرس الموضوعات والفوائد

أ ـ فهرس أطراف الأحاديث والآثار

— س، ع —

— ف، ق، ك —

— م —

— و —

— لا —

— ي —

ب ــ فهرس الجرح والتعديل

الترجمة — الصفحة

- ع -

- ق -

- م -

- هـ، و، ي -

الترجمة	الصفحة

جـ ـ فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	الصفحة